

الأشعاع الدين  
الجامعة  
٢٠١٤/٢/٥  
**المكان**

## في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي

بحث تقدّمت بها الطالبة

ليلي محمد سالم

إلى قسم اللغة العربية وهي جزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في اللغة  
العربية / أدب

بإشراف الاستاذ المساعد الدكتور

حسين عبيد الشمري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((رَبِّ أَوْزِغْنِي أَنْ أَشْكُر  
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى  
وَالَّذِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ  
أَذْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ  
الصَّالِحِينَ))

صدق الله العلي العظيم

سورة النمل / آية ١٩

## الاهداء

إلى من يسعد قلبي بلقياها  
إلى روضة الحب التي تنبت أزكي الأزهار  
أمي

إلى رمز الرجالـة والتضحـية  
إلى من دفعـني إلىـ العلم وبـه ازدادـ افتـخار  
أبي

إلى من هـم أقربـ أليـ من روحيـ  
إلى من شـاركـني حـضـنـ ألامـ وبـهمـ استـمدـ عـزـتيـ وـإـصـرـاريـ  
اخـوـتـيـ

إلى من آنسـنيـ فيـ درـاستـيـ وـشـارـكـنيـ هـمـومـيـ  
تـذـكارـاـ وـتقـدـيرـاـ  
أـصـدقـائـيـ

اهـديـ هـذاـ الـبـحـثـ

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على اشرف المرسلين واله وصحبه  
المنتجبين .

وبعد:

لقد اهتمت الدراسات الأدبية اهتماماً كبيراً بالمكان؛ لما له من أهمية كبيرة في النصوص الأدبية عامه والشعرية خاصه في دلالاته المتنوعة وما لها من تأثير في المبدع والمتلقي على حد سواء فجاء اختياري لموضوع المكان في شعر الامير تميم الفاطمي لبيان هذه الأهمية ومدى تأثيرها في شعره لإكمال بحث التخرج في مرحلة البكالوريوس وكان منهجه في دراسة الموضوع هو المنهج التحليلي الوصفي في تتبع الآيات الشعرية وتحليلها وفقاً للمناسبات التي ذكرت بها تارة والاحاديث التاريخية والضغوط النفسية التي تعرض لها الشاعر فجاءت مؤثرة على عنصر المكان وكانت أبرز المصادر التي رجعت إليها هو ديوان الشاعر والمراجع الحديثة التي تناولت تاريخ الدولة الفاطمية فضلاً عن كتب التراجم والمعاجم و الدواوين الشعرية ورسائل الماجستير وأطارات الدكتوراه التي تناولت عنصر المكان و اهميته و من ابرز الصعوبات التي واجهت الباحثة في جرد الآيات الشعرية وتفسير الغريب منها وشرحه وصعوبة الحصول على المصادر في المكتبات القريبة .

وقد املت طبيعة البحث ان اقسمه على تمهيد وثلاثة مباحث مسبوقة بمقدمه وملحقاً بخاتمه سجلت فيها الباحثة أبرز النتائج التي توصلت إليها

فكان التمهيد بعنوان ( المكان مفهومه و أهميته ...) تعرضت فيه لطبيعة المجتمع الفاطمي ولمحه من حياة الشاعر الامير في المحور الاول في حين جاء المحور الثاني حول المكان ومفهومه لغته و اصطلاحاً وأهميته الأدبية أما المبحث الاول جاء بعنوان ( المكان الطبيعي ) تناولت فيه الباحثة ابرز الاماكن الطبيعية ( الجبال ، الصحراء ، الانهار ...) في حين تناول المبحث الثاني ( المكان الاصطناعي ) الذي نطرق الى ( البيت و الطواحين القصور الحدائق والبساتين المجالس الادبية ...)

أما المبحث الثالث جاء بعنوان ( موقف الشاعر من المكان ) الذي توزع على محورين من حيث الموقف المعادي للمكان والموقف الاليف بين نفسية الشاعر في الاندماج مع المكان تارة والانفصال عنه تارة اخرى .

ثم جاءت الخاتمة التي تناولت ابرز النتائج التي توصلت اليها ومن كمال الفضل شكر ذويه أتقدم الى أستاذى المشرف على البحث الذى واكب مسيرة البحث خطوه خطوه فله مني وافر الشكر والتقدير

هذا ولا ادعى الكمال في عملي أذ ان الكمال لله وحده فجهدي جهد بشر مجبول على النقص فان كنت قد اصبت فله الحمد والمن و ان كنت قد اخفقت فحسبي في جهدي المتواضع العمل والسعى أنه السميع المجيب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله الكريم وآلـهـ الطـاهـرـين .

## أولاً: المكان مفهومه وأهميته

### ١- المكان لغة واصطلاحاً:

تناولت المعجمات اللغوية العربية لفظة (مكان) من زوايا متعددة، فقد نظر إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) من زاوية صرفية، ورأى أن المكان في أصله هو موضع لكونية الشيء الذي يحل فيه<sup>(١)</sup>.

أما ابن دريد (ت ٣٢١هـ) فنظر إليها من زاوية جغرافية، ورأى أنها "مكان الإنسان وغيره"<sup>(٢)</sup>.

وذهب ابن منظور (ت ٧١١هـ) إلى إن "مكان في أصل تقدير الفعل مفعول؛ لأن موضع لكونية الشيء"<sup>(٣)</sup>.

وأورد الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) لها مفهوماً من زاوية فلسفية يقترب من الدلالة الاصطلاحية، إذ ذكر أن المكان هو "الموضع الحاوي للشيء"، وعند بعض المتكلمين أنه عرض، وهو اجتماع جسمين حاو ومحوي، وذلك لكون الجسم الحاوي محيطاً بالمحوي. فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين<sup>(٤)</sup>.

أما اصطلاحاً، فقد تباين مفهوم المكان عند متناوليه ، ويبدو أنَّ المفهوم الاصطلاحي للمكان لم ينشأ مستقلاً عن المفهوم الفلسفي، فهما مرتبان بعضهما البعض، وقد أولى عدد من العلماء وال فلاسفة التعريف الاصطلاحي أهمية منذ القدم والى العصر الحديث اتخذ المكان بعدها فلسفياً نابعاً من الفلسفة اليونانية، ويعد أفلاطون (ت ٣٤٧ق.م) أول من صرَّح به "إذ عده حاوياً وقابل للشيء"<sup>(٥)</sup>، فالمكان-

(١) ينظر: العين: (مكان).

(٢) جمهرة اللغة: (مكان).

(٣) لسان العرب: (مكان).

(٤) تاج العروس: (مكان).

(٥) نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية ابن سينا نموذجاً: ١٩.

بحسب أفلاطون - "شرط ضروري لإدراك المحسوسات، أو هو بمثابة الستار الذي تظهر على سطحه صورة الحقائق المنعكسة على المرأة"<sup>(١)</sup>.

وأخذ مفهوم المكان - بعد أفلاطون - ينال أهمية متميزة في أبحاث الفلسفه، فخصصوا له منزلة خاصة في مؤلفاتهم التي تركوها لنا، وإن اختلف تحديد المفهوم من فلسفه إلى أخرى، فجاء مفهوم المكان عند تلميذه أرسطو طاليس (ت ٣٢٢ ق.م) بأنه "الحد اللامتحرك المباشر للحاوي"<sup>(٢)</sup>، وهو يرى أنه من الممكن إثبات وجود المكان طالما نحن نشغله بالفعل ونستطيع الانتقال منه إلى مكان آخر<sup>(٣)</sup>.

أما الفارابي فرأى أن المكان "موجود وبين ولا يمكن إنكاره"<sup>(٤)</sup>، ولأبي حيان التوحيدي موقف من المكان لا يختلف عن موقف سابقيه؛ إذ يعرفه بصيغة سؤال يجيب عنه، فيقول: "يقال ما المكان؟ هو حيث التقى الاثنان: المحيط والمحاط به، وأيضا هو ماس من سطح الجسم الحاوي، وانطباقه على الجسم المحوى"<sup>(٥)</sup>.

والمكان عند الرazi (ت ٦٠٦) يختلف عنده عن سابقيه من الفلسفه المسلمين المتأثرين بمذهب أرسطو، إذ يميز بين نوعين من المكان: المكان المطلق أو المطلق غير المتناهي ، والآخر المكان الجزئي، أو الخاص أو المضاف<sup>(٦)</sup> ، وهو بذلك يختلف عن مذهب أرسطو طاليس، فالمكان عنده نهاية الجسم المحيط، وهو متناه.

ومما تقدم يمكننا القول إن المفهوم الاصطلاحي للمكان أخذ بعدها فلسفيا بعد عناية الفلسفه اليونانيين والمسلمين به.

(١) تاريخ الفكر الفلسفي: ١ / ٢٢٣.

(٢) موسوعة الفلسفة: ١٠٩ / ١.

(٣) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي: ٨٤ / ٢.

(٤) رسائل الحروف: ٨٨.

(٥) المقابسات: ٣٦٤.

(٦) ينظر: أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرazi: ١١٤.

## ٢ - المفهوم الأدبي للمكان:

المكان في الأدب ليس مجالا هندسيا، تضبط حدوده وأبعاده، وقياسات خاضعة لحسابات دقيقة مثلا هو الشأن بالنسبة إلى الأمكنة الجغرافية ذات المواصفات الطبوغرافية، وإنما "يتشكل في التجربة الإبداعية، انطلاقا واستجابة لما عاشه، وعاشه الأديب، إن على مستوى اللحظة الآنية مثلا بتفاصيله ومعالمه، أو على مستوى التخييل وافدا بملامحه وظلاته"<sup>(١)</sup>.

إن نشأة العناية بالمكان الفني كانت "نتيجة لظهور بعض الأفكار والتصورات التي تنظر إلى العمل الفني على أنه مكان تتحدد أبعاده تحديدا معينا وهذا المكان(المكان الفني) من صفاته أنه متناه، غير أنه يحاكي موضوعا لا متناهيا هو العالم الخارجي، الذي يتجاوز حدود العمل الفني"<sup>(٢)</sup>.

ومهما كان هذا العمل الفني سواء أكان لوحة فنية أم تمثلا أم شعرا أم رواية فهو يشغل حيزا في الكون الفسيح، ولكنه في هذا الحيز المحدود يكون أوسع منه وأشمل في العالم اللامتناهي<sup>(٣)</sup>، وهو يعتمد الخيال الخصب في رسمه.

وارتبط الأدب بالمكان؛ لأنه يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب، إذ يدخل في جدلية مع الأشخاص ونفسياتهم والأحداث ودلاليتها، فيكون وصف الطبيعة والمنازل والأشياء وسيلة ترسم الشخصيات وحالاتها النفسية، وانتمائها الطبقي؛ لأن المكان دلالة خاصة تحكي ما في نفس الأديب<sup>(٤)</sup>.

(١) الزمان والمكان في الشعر الجاهلي: ١٨١.

(٢) مشكلة المكان الفني ، (بحث) ، ضمن كتاب جماليات المكان : ٦٨.

(٣) ينظر: المكان في شعر بدر شاكر السياب، (رسالة ماجستير) ، فستان محمد الخزاعلة ، جامعة آل البيت، كلية الآداب ، ٢٠١٠: ١٩.

(٤) ينظر: بناء الرواية: ٧٨.

وللمكان أهمية كبيرة في أي عمل أدبي، سواء أكان شعراً أم نثراً، إذ تظهر أهميته وتأثيره من علاقته بالعناصر الأخرى، فما الأدب إلا انعكاس لحياة الأديب والعوامل الموضوعية والاقتصادية (المعيشية)، والعامل التاريخي يسهم في تفسير المكان موضوعياً وفكرياً ونفسياً عند الشاعر<sup>(١)</sup>.

ولا شك في أنَّ للمكان في تجربة الشاعر عامة أهمية كبيرة تتبع من كونه الفضاء الذي تتشكل فيه تجربته ، ويتبادر فيه خطابه الموجه ، وتفاعل في أبعاده أطراف تلك التجربة فيتجلى بوصفه محيطاً حاوياً لكل افعالات الشاعر وهو جسده فهو "آية استحضار تفعل فعلها المباشر في النفس دون واسطة"<sup>(٢)</sup>، وهو ينمو ويتطور بتطور الفكر البشري ، فحينما نبحث عن موقع الدلالة في الأمكنة التي تطرق إليها الشاعر في شعره، نجد أنها ترتبط بالأفكار الدالة التي يمنحها الشاعر لتلك الأمكنة عبر الترابط الجدلية بين المكان وال فكرة؛ لأنَّ "إضفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة يساعد على تجسيدها، فتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد ليقربه إلى الإفهام"<sup>(٣)</sup>، وهو من باب تصوير المعنوي بالحسي .

ويكتسب المكان بعدها واقعياً إذا كان أكثر امتزاجاً في عالم الواقع، وهنا تكون أمام تصوير فوتوغرافي لما في الواقع ، في حين أنه إذا اعتمد في أثناء عملية نقل الواقع على تضخيم ذلك الواقع ، فإنه يكتسب بعدها رمزاً ودلالياً ، فالشعر المفعم بالجمال هو الأكثر انتزاعاً عن الواقع وتمثيلاته ، ويكتسب شاعريته الفذة كلما انحرف عن النقل الحرفي للواقع المعيش وتمسك بالفضاءات الخيالية التي تقربه من عالم الفن أكثر، فالشاعر المتمكن هو الذي يخلق من المكان الواقعى صورة خيالية تحرك المتلقى وتثير حساسيته تجاه الموضوع عامه<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: المكان في الشعر العربي قبل الإسلام، (رسالة ماجستير) ٢١: ٢١.

(٢) فلسفة المكان في الشعر العربي: ٢١.

(٣) بناء الرواية: ٧٥.

(٤) ينظر: جمالية المكان في قصص إدريس الخوري: ٢٣.

٢- اتخذ الخلفاء الفاطميين الشعر وسيلة من وسائل تثبيت دعائم حكمهم، ونشر دعوتهم الإسماعيلية ، لما للشعر من أهمية كبيرة ولهذا جعلوا للشعراء منزلة كبيرة، وخصصوا لهم الرواتب المجزية<sup>(١)</sup>.

٣- عرف عن الفاطميين فصاحتهم ، وطول باعهم في العربية ، وكان من خلفائهم من نظم الشعر<sup>(٢)</sup>، فقد أثر عن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إنه كان يقول الشعر<sup>(٣)</sup>، وقيل عن العزيز بالله بأنه "كان أدبياً جواداً ممدحاً"<sup>(٤)</sup> .

٤- استقرار الأحوال السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، وتراث الدولة الفاطمية في النصف الأول من سني حكمها ، كانت من أهم الأسباب في نهضة العلم والأدب؛ لأن بهما تزدان حضارة البلاد ، وهما من أسباب الرفاهية والحضارة ، فقبل الناس أبان الدولة الفاطمية على مباحث الحياة، وكان في أيام الدولة الفاطمية كثير من الاعياد والمناسبات التي يجتمع فيها الناس ، ويمارسون طقوسهم العبادية ، ومظاهرهم الاحتفالية مما نمى شاعرية الشعراء ، وألهم صورهم ، فتسمع المرقص والمطرب ليسجل لتاريخ الدولة الفاطمية مفاخر الأدب لتبقى على الأيام<sup>(٥)</sup>.

٥- حُب الفاطميين للفنون المختلفة ، وكانت الطبيعة التي تتمتع بها مصر ممتزجة بتلك الفنون ؛ لأنها كانت مصدر إلهام الشعراء، فقد عرف عن المصريين أنهم كانوا يخرجون في ذلك العهد إلى المتنزهات ، والأماكن البدوية ،... فيقصون ،

(١) ينظر: دراسات مقارنة بين النشاط الأدبي في الدولتين الفاطمية والعباسية : ٧٠.

(٢) ينظر: الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبى : ٢١٠ .

(٣) ينظر: وفيات الأعيان : ٥/٢٢٨ .

(٤) النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٤/٧٨ ، وأورد الثعالبي نموذجاً من شعره في بحثه الدهر: ٣٦٠ - ٣٥٩/١.

(٥) ينظر: المعاوظ والاعتبار: ٢/١١٥ ، ١١٦ ، ٢٢٤ ، والأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبى : ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٧٤ .

ويطربون وينعمون بجمال الرياض ، وأريح الزهور ، ومنظر الماء ، فيتطاردون  
الشعر ، ويتأتون في الإنشاء ، ويستوحون الفن والجمال وهي شعرهم <sup>(١)</sup>.

وهكذا كان الفاطميون يولون الشعر والشراة عنايتهم ، لأن "الشراة لسان  
من السن تمجيدهم والذود عنهم أمام أداء كثرين أقواء فإنفاق النعم الفاطمية  
على الشراة كان من أشد الأسباب التي جعلت الشراة يحرصون على إتقان  
الشعر مع الإكثار من الإنشار ، فكثر الشعر وكثير إنتاجهم" <sup>(٢)</sup>.

فهو تميم بن معد المعز لدين الله ( الخليفة الفاطمي الرابع ) بن إسماعيل  
المنصور بن محمد ( القائم ) بن عبيد الله ، ولد الأمير تميم سنة ( ٣٣٧ ) ، في عهد  
جده المنصور بالله ، في مدينة المهدية بتونس ، تلك المدينة التي بناها جده عبيد الله ،  
وأخذها عاصمة له سنة ( ٣٠٨ ) ، وكني أبوه المعز لدين الله بأبي تميم ، ولم يولد  
تميم بعد <sup>(٣)</sup>.

نشأ الأمير في قصر الخلافة بالمهدية <sup>(٤)</sup> ، وقضى طفولته فيها <sup>(٥)</sup> ، وحين  
صار تميم في الخامسة والعشرين من عمره ، انتقل برفقة أبيه المعز لدين الله إلى

(١) تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال : ١١ .

(٢) في أدب مصر الفاطمية : ١٥٩ .

(٣) ينظر : ترجمته ، وبعض أخباره ، وشعره في ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : المقدمة ، يتيمة  
الدهر في محاسن أهل العصر : ١ / ٤٥٢ ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ١٤ / ٢٦٢ ، والحلة  
السيرة : ٢٩١ / ١ ، وفيات الأعيان : ٨ / ١ ، والوافي بالوفيات : ١٠ / ٢٥٤ ، النجوم الزاهرة في ملوك  
مصر والقاهرة : ١٣٨ / ٤ ، ومعجم المؤلفين : ١ / ٤٥٩ ، والأعلام : ٢ / ٧٢ ، واعيان الشيعة : ٥ / ٥٦٠ ،  
وتاريخ الأدب العربي : كارول بروكلمان : ٤ / ٨٥ ، وعقريبة الفاطميين : ٢٣٥ - ٢٣٩ ، ومصر  
الشاعرة في العصر الفاطمي : ٢٠ - ١٣٤ .

(٤) المهدية ، وهي مدينة إفريقية منسوبة إلى المهدى جد الشاعر . ينظر : معجم البلدان : ٥ / ٢٣٠ .

(٥) ينظر : سيرة الأستاذ جوزر : ١٠٠ .

مصر سنة (٣٦٢ هـ)، وسكن القصر الكبير في القاهرة<sup>(١)</sup>، فقضى شبابه بالمنصورية ، وترعرع في أبهة الملك في القصر بالمنصورية<sup>(٢)</sup>.

وكان تميم الابن الأكبر للمعز لدين الله، إذ إن المعز رزق بأربعة أبناء ذكور هم: تميم، وعبد الله، وزرار الذي لقب بالعزيز، وعقيل<sup>(٣)</sup>، وكانت الخلافة عند الفاطميين تنتقل من الخليفة لأبنه الأكبر، وإن كان صغيراً لأجل المحافظة على استمرارية الدولة، فكان تميم أولى بتولي الخلافة بعد رحيل أبيه<sup>(٤)</sup>، ولكن تميناً ظل معزلاً عن الحياة السياسية أو العسكرية، لأن المعز لدين الله كان شديد الحراس على أن لا يعهد إلى تميم بأي عمل من أعمال الدولة، وقد صرفه مرتين عن تولي الخلافة؛ المرة الأولى عندما هاجم القرامطة مصر سنة (٣٦٣ هـ) عهد المعز لدين الله بقيادة الجيوش الفاطمية لطرد القرامطة إلى الأمير عبد الله ابنه الثاني<sup>(٥)</sup> ، وهذا يعني أن ولاية العهد إلى أخيه عبد الله الأصغر، والمرة الثانية عندما توفي عبد الله سنة (٣٦٤ هـ) تطلع الناس إلى تميم مرة أخرى، لأن يكون ولی العهد، ولكن المعز لدين الله صرفها عنه مرة ثانية، فجعلها لأبنه الثالث زرار الذي لقب بالعزيز. ويبدو إن سبب صرفه عن ولاية العهد هو مجونه ، فقد كان تميم مقبلاً على الشراب محبًا للسماع ، مشاركاً أصحاب اللذة ، واللهو ، والقصف ، والخلافة<sup>(٦)</sup>، وهو ما جعل المعز لدين الله يصرفه عن الخلافة؛ لأنه لا يصلح على تحمل أعباء الخلافة ، بعدها استسلم شاعرنا إلى حكم الأقدار التي حرمته من الملك ولاسيما بعدما أنجب العزيز ابنه المنصور، ليجد في الشعر ملذاً يعبر به عن صخب الحياة ويشكو الآمه حين اتخذه وسيلة للتعبير عن همومه وملازماته حتى وفاته

(١) ينظر : الديوان ، مقدمة المحقق: ط ١ : م .

(٢) المنصورية ، وهي مدينة قرب القิروان استحدثها المنصور بن القائم بن المهدي سنة ٣٣٧، ثم صارت منزلاً للملوك من بعده . ينظر : معجم البلدان : ٥ / ٢١١ .

(٣) ينظر: م. بن ، مقدمة المحقق: ط ١ : ز.

(٤) ينظر: مجموعة الوثائق الفاطمية: ٢٠ :

(٥) ينظر : اتعاظ الحنفاء: ٢٠٣/١: ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٦) ينظر: الحلة السيراء: ٢٩٦/١: ٢٩٧ - ٢٩٨ .

سنة (٣٧٤هـ)<sup>(١)</sup>، عن عمر لا يتجاوز (٣٧)، ولا تعرف الاسباب التي أدت الى موته وهو في سن شبابه ، فربما مات مهموماً محزوناً ، او مات مقتولّ خشياً على الخلافة من التآمر على أخيه.

### منزلة الشاعر الأدبية

انطلقت شاعرية الأمير مذ نعومة اظفاره في المغرب؛ لأن الذي يأتي إلى مصر ويقول الشعر فلابد أنه شاعر؛ ولكن لم يصل إلينا شيء عن شاعريته متلماً لم يصل إلينا شيء عن حياته في المغرب، وكأنما كانت قصة تميم أسطورة مغلقة بسبب ضياع كثير من شعره وأخباره، ولم تعرف الأسباب التي أدت إلى ضياع كثير من شعره<sup>(٢)</sup>.

وكثرت هي المصادر الأدبية التي ورد ذكر تميم فيها شاعراً ، والتي أطلالت فيما أورده من شعره لمكانته الأدبية الرفيعة التي ميزته عن باقي شعراء الدولة الفاطمية ، ولعل أولها كتاب زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيراني (ت ٤٥٣هـ) الذي قال فيه: "كان يحتذى مثل ابن المعتز ، ويقف في التشبيهات بجانبه ، ويفرغ فيها على قالبه ، ويتبعه في سلوك ألفاظ الملوك"<sup>(٣)</sup> ، وهذا يدل على أنه كان يقرن بالشاعر ابن المعتز العباسي (٢٩٦هـ) ، لما بينهما من تشابه ، فكلا الشاعرين من بيت الخلافة ، ومن شعراء البديع ، وكلاهما من أكثر من الوصف والمجون ، ودافعا عن عقيدتهما<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : م . ن : ٣٠١/١ ، وفيات الأعيان : ١ / ٣٠٣ ، الوافي بالوفيات : ١٠ / ٢٥٥ .

(٢) ينظر: تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال: ٢٧:

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب: ٢ / ٧٥٧ .

(٤) ينظر: وفيات الأعيان: ٣/٤ .

## المبحث الأول

### المكان الطبيعي

المبحث الأول  
المكان  
ال الطبيعي

## المبحث الأول : المكان الطبيعي

اتخذ الشاعر العربي منذ عصر ما قبل الإسلام من مظاهر الطبيعة، وعناصرها مكاناً آمناً ، يعبر فيه عن همومه ، ومشاعره ؛ إذ عاش في أجواء الطبيعة متفاعلاً مع ذلك العالم الطبيعي بأرضه ، وجبله ، وصحرائه ، ومائه ، وهوائه ، وسمائه ، وكواكب... الخ ، فالمكان الطبيعي الأرض وعناصرها والسماوي وعناصره كانا من المحاور الأساسية في الشعر العربي القديم ، إذ كان "الشعر القديم يدور" حول موضوعين أساسيين هما الإنسان والطبيعة<sup>(١)</sup>.

وتناول الشعراً المكان الطبيعي بطرق متعددة منها الطريقة الواقعية التي تصف المناظر كما هي، والطريقة المثالية الكمالية التي تقتضي تكميل ما في الطبيعة بواسطة الخيال، والطريقة الفلسفية للذين يتذكرون في الطبيعة و يجعلونها ميداناً لتأملاتهم<sup>(٢)</sup>، فالبيئة الطبيعية تعد "أعظم العوامل المؤثرة في الأدب ، بل في واقع أمرها ومدى دقتها تعتبر[كذا] الخالقة لبعض فنونه ، المكونة لأكثر عناصره ، فإنها تخلع عليه جميع ألوانها ، وتهب له كل مظاهره"<sup>(٣)</sup>، لذا تعمق التجربة الذاتية لدى الشاعر في مكان يتسم بالجمال والسحر الذي تتوق إليه النفس ، ولذلك تعد الطبيعة منبع الجمال الكوني ، والمكان يستمد جماليته منها ، والأماكن الجامدة في الشعر تحول إلى أماكن حسية ناطقة تحرك النفوس وتثير المشاعر<sup>(٤)</sup> .

وشكلت أماكن الطبيعة محوراً بارزاً في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، فنرى قصائده زاخرة ببراعة الوصف ، ودقائقه ، للربيع ، وللرياض

(١) مفهوم الشعر : ٣٥ .

(٢) ينظر : النقد الأدبي : ١٠٢ / ١

(٣) الوصف في الشعر العربي : ١ / ٨ .

(٤) ينظر : جماليات المكان في الشعر العباسي : ١٢٣ .

وللأزهار، وللنجموم ، وللكواكب ، فهو "شاعر الطبيعة الهايم الشادي ، والمصور المفتون الذي منحها من شعره، وفنه، وإحساسه وهياته، وواقع حياته، وتذوقه للجمال كل ما يستطيع"<sup>(١)</sup>.

ويمكن دراسة المكان الطبيعي في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي في مقاصدين الأول : المكان الطبيعي الأرضي ، والأخر : المكان الطبيعي السماوي

### أولاً : المكان الطبيعي الأرضي

يقصد بالمكان الطبيعي الأرضي هو ذلك المكان الذي نشأ بصورة طبيعية من دون تدخل من الإنسان في إيجاده وتشكيله فهو قد وجد منذ الأزل بصورته المعروفة ، وهو عنصر مهم مؤثر في حياة الإنسان ، وتبعد علاقته به قديمة مفترضة بهبوطه إلى الأرض ؛ إذ لجأ إلى عناصر الأرض الطبيعية من جبال ، ورياض ، ومياه ، وأراضٍ مغفرة؛ لتحقيق غاياته من مأوى واستقرار ، والشعور بالأمن فيها ، فالأرض هي المكان الذي يرتبط به الخلق منذ بداية خلقه إلى قيام الساعة ، والإنسان دائم التفاعل مع المكان يؤثر به ويؤثر فيه ، والشاعر انسان غالباً ما يعطي ولاعه للمكان؛ الذي يرى فيه شعوراً بالاستقرار ، ففيه تجد النفس راحتها ، وفي رحابه تحس بهدوئها ، وقد خلق الله تعالى الأرض ومدّها . قال الله تعالى((وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا))<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى(( وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ))<sup>(٣)</sup>.

ويعي الشاعر فلسفة وجوده؛ إذ تدرك ذاته الوعائية علاقتها بالمكان عبر ثبوته، واستقراره، وهي علاقة تشكل، وصيغة تتعدد بقدر فعاليته المكانية، ووجود الظواهر الجمالية التي تثري إبداع الشاعر، وتحرك أحاسيسه، وتوقف

(١) تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال : ٩٠.

(٢) الرعد : ٣.

(٣) البقرة : ٣٦.

وتجده، وتتنمي خياله<sup>(١)</sup> ، فالشاعر يضفي على الأرض تشخيصاً حسياً، تظهر فيه الأرض مشهداً للصراع بين الإنسان والبيئة ، فنجد الشاعر أحياناً يستعيض عن ذكر الظواهر البيئية المكانية المحددة بذكر كلمة الأرض لشموليّة دلالتها ، فهي منبع يمد الشاعر بعناصر الإبداع<sup>(٢)</sup>.

وشاعرنا واحد من الذين تفاعلوا بعمق مع الأرض تفاعلاً إيجابياً مرة وسلبيةً مرة أخرى فكانت له رؤية تنوعت بين الضيق ، والاسعة تجاه الأرض التي يحط أقدامه عليها، وأشرك الشاعر الأرض ، بمعناها الواسع لوصف جزء من الظاهرة الكونية التي أحسن الشاعر في مواضع كثيرة توظيفها من أجل تعميق المعنى، وتوسيع الدلالة في التعبير عن انفعالاته ، وعواطفه ، ومن ذلك قوله :

(المتقارب)

تزلزلت شوق الأرض  
إليه من ذو العرش  
زلزالها  
وطقة الله  
تبدي رهانه  
أ و م ذ ان؟ ان المسما  
لها<sup>(٣)</sup>

يبين الشاعر في هذه الأبيات شوق الأرض لمدحه ؛ إذ أضفى صفة الشوق والحنين والحركة للأرض التي هي مكان جامد ، إذ إن هذه الأرض تزلزلت من شدة شوقها إليه ، لكن الله سبحانه وتعالى سكن زلزالها ، وأحكم

(١) ينظر : جماليات المكان في الشعر العباسي : ٤٩-٥٠.

(٢) ينظر : م.ن: ٥٩.

(٣) ديوان نعيم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٣١٩.

(٤) الزلزلة : ١.

تدبريرها ، وبضيف الشاعر إلى ذلك أن هذه الأرض سميت باسمه ومنذ كان هو سميت تشريفا لها ، وتتضح أهمية المكان في هذه الأبيات في المقاربة بين منزلة المدوح وعلاقته بالأرض التي يحيا فيها حتى أنها أضحت تتزلزل شوفا إليه ، فهذه العلاقة بين المكان وصاحبها تبين مدى أهمية الأرض لهذا المدوح ، إذ هي المكان الذي يميزه عن باقي الأماكن ، وقد وظف طاقة التعبير القرآني بقوله تعالى ((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَلَهَا))<sup>(٢)</sup> ؛ ذلك لتقريب الوصف الذي تكون عليه الأرض حين يكون مدوحه موجودا عليها ، فقد أبدع الشاعر مرتين مرّة بفن التجسيد الذي جعل في الأرض احساساً وحياة ، وأخرى في تضمين الفكرة القرآنية ولدلالتها في الزلزلة ، وهذا ما يحسب له فنياً.

لقد مثلت الأرض الحيز المكاني الأكثر تماساً مع حياة البشر وبلغوها تكون قد وصلت إلى طبقة أقرب إلى الإنسان ، وأكثر تأثيراً في نفسه ومشاعره ، وتتخذ الأرض أبعاداً أوسع واشتمل لاشتراك حواس متعددة في إدراك مظاهرها ومعطياتها التي كان الإنسان معها في تفاعل مباشر لأهميتها في حياته لذلك كان من الصعب حصرها وإدراكتها ضمن فكرة واحدة يمثلها الشاعر<sup>(١)</sup>.

لذا نجد أن الأماكن في شعر تميم بن المعز حاملة لدلائل ومعانٍ أعمق من صورها الظاهرة ، مما يشجعنا على تتبع المكان الأرضي ودلاته الحاملة لمعاني أوسع معبرة عن عواطفه تجاه ذلك المكان ، فنلمس إحساس الشاعر بالضيق تجاه الأرض في قوله :

(الجزء)

ارض	الارض	ر	و
س			ش
ك		ل	ل
وان		هـ	يـ
			فـ
			إـ

(١) ينظر : ما قبل الفلسفة : ١٧١ .

الْأَيَّامِيَّةِ عَدَ تَرْجِيمَهُ (١) وَكَانَ كَمَا صَاحِبِي يَقُولُ

يستوجب الظرف والقدر وجودنا في أماكن لا نرغب العيش فيها ،فهذا ماعاناه الشاعر حين وطأت قدمه على الأرض التي لم يجد فيها من إخوانه وأصحابه ، فأصبح المكان الأرضي المعروف باتساعه أينما حل وارتحل الإنسان رقعة يستصغرها الشاعر نتيجة إحساسه بالضيق والضجر في مكان لا يحمل معنى الاستحضار الشخصي للذات الشاعرة ، ويستمر في بيان الانغلاق المكاني الذي يعاني منه على الرغم مما ينعم به حينما قال:

(الكامل)

أَتَضِيقُ بِي الْأَرْضُ الْعَرِيشَةُ سَاعَةً  
وَالْأَرْضُ فِي هَا دَامُ وَمُ  
قِينَةُ حَظٌ وَتَحْتِي سَابِعَ  
وَيَفْوَتُنِي حَظٌ يَ وَتَحْتِي سَابِعَ  
رَحْبَ الْبَلْدَانِ وَفِي يَدِيْ حُسَامُ  
تَسْأَلُهُ لَا أَغْضِي عَلَى مَضَاضٍ  
يَغْتَلُهُ الْأَنْتَامُ<sup>(٢)</sup> بِالظَّ

والجبال مظهر من مظاهر الأرض الطبيعية ، وهي ظاهرة مكانية أخذت منزلتها الرفيعة في نفوس الناس، وكانت بشموخها محط أنظارهم " وقد شكل الجبل

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٤٣١ .

<sup>٢)</sup> ديو ان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ٣٨٤

للشاعر مكان الذكريات الماضية بكل ما فيها من أمل وسعادة<sup>(١)</sup>، وأخذت الجبال في ذات الشاعر صوراً شتى دلت على الرسوخ والثبات، والخلود فضلاً عن المجد والعز والعلى ، والبقاء، ولعل كل شيء يولد ويضمحل وينتهي، إلا الجبال فهي باقية على حالها لا تتغير<sup>(٢)</sup>، إلا بأمر الله (تعالى) .

ويقف الشاعر على الجبال ، ولم تكن وقوفته مادية بسيطة ، فقد جعلها معاناة حقيقة معبرة عن أزمة نفسية اعتلت الشاعر في حياته فصاغ أبياتاً تبرز فيها الحكمة، وتسبّب في تقديم الموعظة عندما قال:

(الكامل)

إن نظرة الشاعر إلى المكان نظرة تعانلها الطموح ،والرغبة في بلوغ المعالي ،والمعانى السامية التي يرغب أن تتمثل في شخصيته ،وهو يرى نفسه المؤهل للخلافة وليس غيره وهذه معضلة نفسية تقصر العمر، يجعل من هذه الجبال بلحاظ علوها ،وارتفاعها ،وسموها ،مطمحًا لنيل هذه الرتب التي يحلم بها ،ويتوق إلى تسنمها ،فالشاعر جعل عنصر المكان ، دالاً على ما في نفسه قاصداً توظيفها في شعره .

<sup>١)</sup> المكان عند شعراً الغزل العذري في العصر الأموي ، (رسالة ماجستير) ، بشائر امير عبد السادة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٣: ٣٨ .

(٢) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي : ٣٩ - ٤٠ .

وتحمل الصحراء دلالة أخرى حين تدل على العداء والوحشة والغربة؛ إذ إنها واسعة ، ومقررة ، ونائية، وهذه أوصاف عدو خلفته الطبيعة فوقف أمامه الإنسان وجهاً لوجه في تجارب حياته وموافقها المختلفة<sup>(١)</sup>، فضلاً عن أن الصحراء لا يجتازها إلا ذو حظّ عظيم لهولها وصعوبتها حتى أنها سميت بـمفارزة تفاؤلاً لقاطعها ، لذلك وظف الشاعر الصحراء ، لبيان قدرته وصبره على البلوى مما يدل على قوة شخصيته، وعظم صبره.

وقد مثلت الصحراء مدار اهتمام الشعراء العرب منذ القدم ، ومصدراً من مصادر صورهم ، فقد وجدوها " مكاناً وموطناً وعاطفة جياشة شفت قلوب الشعراء بمواردها ذات الطبيعة الحية والجامدة، وخلبت فكره واستمد منها ضوئها ومعاناتها وأثرت فيه"<sup>(٢)</sup>.

ويسبغ على الصحراء مظاهر الغربة والوحشة عندما يتبعه في فضائها الواسع فيقول:

الواسع  
(الرجز)

أركض بالدهماء في الدهماء  
معنة راء<sup>(٣)</sup>

حتى طرق ت  
بالخالصاء من آل  
سع د وبني الغ راء

(١) ينظر: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، (أطروحة دكتوراه)، محمد عويد محمد الطربولي ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤ : ٤٠.

(٢) الصحراء في الشعر الجاهلي، (أطروحة دكتوراه)، محمد صديق حسن ، جامعة أمدرمان الإسلامية . ٢٠٠٧: ١٣.

(٣) الدهماء الأولى، الفرس الأسود، والدهماء الثانية، الليلة المظلمة، المعجم الوسيط، (دهم).

هـ مـ رـادـيـ وـهـ  
أـعـدـائـيـ وـالـصـبـحـ قـدـ ذـابـ  
عـلـىـ الـهـ وـاءـ<sup>(١)</sup>

مثلث الصحراء مكاناً يمر به كل هارب من معقله ، يلتja إلها ، ويسير في أراضيها الفقرة وصولاً إلى بقعة تبعد عن واقع قد هرب منه ، وهذا المعنى وصفه شاعرنا في نصه ليبيان كيف ركض به فرسه تحت ظلمة الليل في أرض مستوية خالية حتى أوصلته إلى قبيلة تسكن أرض الباادية ، فدلالة الصحراء هنا جاءت تعبيراً عن الإحساس بالخوف والصعب التي تحملها من أجل الهروب من واقع ربما نفسي أو مكان يعاني منه ، لذا اتخاذها مكاناً لرحلة ذهنية فأخذ يصفها ويتخيل نفسه بطلاً يواجه تلك الظروف .

وتحمل الصحراء طوابع تعبّر عن الحالة النفسية للشاعر وهو يقول :

(الرجز)

وـصـامـيـتـ بـعـيـوـ دـ  
الـفـرـقـةـ لـامـ  
جـهـ مـالـمـشـهـ دـ  
مـرـتـ الرـبـرـاـعـيـ الغـرـاءـ فـدـفـ دـ  
يـخـارـ فـيـهـ كـلـ هـ دـ  
مـهـةـ دـ  
صـادـ السـبـارـيـتـ صـلـيـبـ الجـلـمـ دـ  
يـفـرـضـ فـيـهـ الـرـيـخـ بـغـ دـ  
مـقـصـ دـ<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>

(٢) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ١٥ .

(٤) مرت ، الأرض التي لا كلام فيها ، اللسان ( مرت ) . فدف ، الأرض الغليضة ، اللسان ( فدف ) .

(٥) السباريت ، الأرض التي لا يبني فيها شيء ، اللسان ( سبرت ) .

لَيْسَ بِهِ غَيْرُ الظَّلَامِ الْأَسْوَدِ  
يَظْلِلُ فِيهِ الرَّكْبُ هِيمَانَ  
صَدَ

فَطَعْتُهُ لَمْ يَقْطُنْ إِلَّا بِمَا نَهَى  
أَسْتَجِدَ الصَّارِمَ الْمَهْنَى  
دَ

وَاللَّيْلُ مَضَرُوبُ الْمَرْوَاقِ الْأَرْبَدِ  
عَلَى قَوْقَلِ الرَّحْلِ مَوَارِي  
الْيَدِ (١)

عَوْدٌ جَدِيلٌ صَرِيجٌ  
الْمَحَةُ كَانْزٌ يَمْنَاهُ  
عَلَى خَفَّيْدَ دَدَ (٢)

وَكَلَلَ هَرْجَابٌ أَمْوَونٌ  
أَجْبَلَ لَوْسُلَعَتٌ  
فِي النَّارِ لَمْ تَبَأَ (٣)

وَأَلَّ وَسَرَّتْ مَا بَقَيَتْ لَمْ تَجْهَدَ  
مَنْ الْمَرَاسِيلُ لَعْقَاقِي  
الْوَخَدُ (٤)

(١) الرِّبْدَةُ ، الْغَبْرَةُ ، الْلِّسَانُ (رِبْد).

(٢) عَوْدُ ، الْإِبلُ الْمَسْنُ ، الْلِّسَانُ (عَوْد) . الْخَفِيدَدُ ، ذَكْرُ النَّعَامُ ، الْلِّسَانُ (خَفِيدَد).

(٣) هَرْجَابُ ، الْإِبلُ الْمُضْخَمَةُ الطَّوِيلَةُ ، الْلِّسَانُ (هَرْجَاب) . أَمْوَنُ ، الْأَمْيَنَةُ الْخَلْقُ الَّتِي أَمْنَتْ الْعَثَارَ وَالْأَعْيَاءَ ، الْلِّسَانُ (أَمْن).

العَرَبِ	دُقَمَيَّاتٍ	الشَّدُّ
مَهْرَيَّةٌ	رَدِّ	الشُّ
لَمْ		النَّسْبَةَ
	(١)	تَفَزَّ

الاَرْقَالِ	عَلَى	لَهَا
عِزَّرٌ	رَدِّ	وَالْتَّمَ
	(٢)	الموَالِيِّيِّ وَاحِتَمَ الْأَغْبَرِ

إن التجربة الشعرية التي يحياها الشاعر ليس بالضوري أن تكون ممكناً الحدوث في الحياة على الرغم من ارتباطها بالمكان والزمان ، ولكنها تترك أثراً في نفسية الشاعر، ففي هذا النص الذي يحمله الشاعر معاني الشجاعة والفروسية في رحلة عبر الصحراء القاحلة نجد ارتباط الشاعر بالصحراء نفسياً، وشعورياً، وثقافياً ، حينما وصف أجواءها في مخيلته الشعرية ، وتركت معاني المكان الصحراوي أثره في أسلوب الشاعر ونفسيته .

ويعد المكان المائي عنصراً مهماً من عناصر الطبيعة ، إذ يمثل رمزاً للحياة وسرأ للبقاء وكان العرب منذ القدم يقدسون الماء لندرته في شبه الجزيرة العربية، ويبعدوا - عندهم - مزاجاً من القدسية والأسرار، فضلاً عن كون الماء مورداً للخصب والنمو ، وواهباً للبركة والخير<sup>(١)</sup>، وترتبط عناصر الماء بالأرض وهي مركز الأ沫مة والديمومة والمنح والعطاء ؛ لأن الماء" رمز لأبدية الحركة وتدفقها

(١) المراسيل ، وهي الناقة السهلة في سيرها ، اللسان (رسل) . الوخد ، الإبل سريعة الخطو ، اللسان (وخد) .

(٢) الشدقنيات ، اسم فحل من فحول أبل العرب ، اللسان (شدقم) . الارقال ، سرعة سير الإبل ، اللسان (رقل) .

(٣) ديوان نعيم بن المعز لدين الله الفاطمي: ١٣٢.

(٤) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ٤٣.

والاندماج إلى الإمام بلا هواة، هو القلب النابض في جسد الأرض<sup>(١)</sup>، ولأهمية الماء الشديدة فقد ذكره الله تعالى في العديد من المواقع في سور مختلفة من القرآن الكريم قال الله تعالى: ((وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ))<sup>(٢)</sup>.

وقد نظر الشاعر إلى عالم المياه بأبعاده المتعددة ، منها النهر ، والبحر ، والجداول ، والبركة ، فهو يمثل جزءاً مهماً من الطبيعة المتنوعة في البلاد ، ووظف الشاعر مقدرته الإبداعية والفنية وتمكنه من لغته وأساليبها في رسم معالم المياه في أجمل الصور ، ووصفها بما امتلك من أدوات فنية ، وثقافية عالية ، وقدرة على الخلق والإبداع فصور تميم بركة الحبش<sup>(٣)</sup> ، عندما قال:

(البسيط)

أَنْظَرْ إِلَى الْبَرْكَةِ الْقَاءَ مَعْمَلَةَ  
بِالْمَاءِ وَالشَّمْسِ مِنْ حَسَنِ تَغَامِزِهِ  
وَالرِّيحُ تَلْعَبُ فِي أَمْوَاجِهَا جَذْلًا  
إِلَى تَسَالِمِهَا فَمَمْ  
تَبَرِّزُ أَرْزِهِ  
وَالنَّبَتُ قَدْ حَفَّهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ  
فِي أَنْيَقِهِ غَصَنْ  
بِكَلَّ حَائِزِهِ

(١) المكان ودلالة في شعر السياب ، (رسالة ماجستير) ، محمد طالب البخاري ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ١٩٩٨ : ٤٠٠.

(٢) النحل: ٦٥

(٣) بركة الحبش ، من أشهر برك مصر ، وتقع في ظاهر مدينة الفسطاط بين الجبل والنيل ، ينظر : معجم البلدان: ٤٠١ / ٢.

كأنها بس ط بـ ض إذا بـ رزت  
لـ العـ نـ مـ خـ ضـ رـ ةـ منـ هـاـ  
فـ رـ اـ وـ زـ هـ (١)

وبما إن الماء يعبر عن الحياة بكل تفصيلاتها ، فقد تناوله الشاعر بطريقة إبداعية رائعة عندما وقف أمام بركة الماء، وأخذ يصف الجمال المنعكس في البركة، فجاءت مفرداته مفعمة بالحياة (الغناء ، جذلاً ، أنيق ... الخ) ، فهذه المفردات قد شكلت صورة الأساس للمكان حين جمعت بين صدق الإحساس ، وبراعة التقديم .

إن تفاعل الشاعر مع الطبيعة يعكس الحالة الشعورية والنفسية للشاعر ، فهو يسجل في هذه القطعة من المكان مشاهداته، مصورةً مشاهد أرضه، ذلك التصوير الذي يفيض جمالاً وروعة ، وكأنه أراد أن لا يفوته شيء من طبيعة بلده من دون ذكر فنون أمام نص ثري بمفرداته(روضة، النجوم، السحاب، نواوير ، كواكب، نوار ، الغزالة)، وهي ألفاظ أسبغ الشاعر عليها من نفسه ، فانفعل بها ، وتفاعل معها فأصبحت جزءاً منه فالطبيعة " لم تظهر لذاتها وإنما أصبحت جزءاً من لوحة كبيرة تشير إلى حقيقة روحية استغرقت حياة الشاعر الأمير ، فكلما ازدادت تجربة الشاعر نضجاً ازداد تشرب الطبيعة في كيان عمله الفني"(٢) ، وتبدو مشاهد الرياض " صورة من الحياة المصرية التي كانت تلائم ما في العصر الفاطمي من ترف ونعيم"(٣) .

لقد فاض تميم بن المعز من شعوره ووجданه على مأوى عاليه بصره للمكان الطبيعي المتمثل بالروضة العامرة بـ ( الورد ، الشقيق ، الأغصان ، الأقوان ، البهار ) ، فأخذ يفرغ رؤيته للحسناوات ويقارنها بأزهار الرياض

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي . ٢٤٢:

(٢) شعر تميم بن المعز الفاطمي - دراسة فنية تحليلية - ، (أطروحة دكتوراه) ، حسن علي عباس القرشي ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١١ : ٣٤ .

(٣) في أدب مصر الفاطمية : ٢٩٣

الجميلة بأسلوب قائم على التنسيق والتنظيم ، فدلالة المكان الطبيعي ما هي إلا رؤية منعكسة تعبّر عن نفسية الشاعر ، فكان استذكار جمال الحسنات عبر رؤية هذه الرياض .

لقد هيأت البيئة الطبيعية المصرية المتمثلة " بنهرها العظيم ، وواديها الخصيب ، وزروعها الناظرة ، وجناتها الظلليلة المثمرة ، وصحرائها الشاسعة ، وجبالها الكثيرة ، وهوائتها الجميل وجوهاً المعتمد"<sup>(١)</sup> ، جميع المتطلبات التي مثلت مصدر الإلهام الشعري ، وساعدت قدرته الإبداعية على وصف المكان ومدى تعلقه به ، وتفاعلاته معه ، حتى بدا الشاعر جزءاً من المكان الذي ينتمي إليه .

### ثانياً : المكان الطبيعي السماوي

وتحمل العناصر الطبيعية السماوية ، دلالات شاخصة ماثلة للحس تشير إلى ما ورائها من قدرة وحكمة<sup>(٢)</sup>، وكثيراً ما أوحى هذه العناصر بدللات مختلفة ، منها "معاني السمو والعلو والمنزلة المرموقة التي تطمح الذات الوصول إليها على الرغم من الموضع الرفيع الذي يحتله في الواقع والمنصب الذي يشغله لكنها ظلت دائمة التطلع إلى كل ما هو سام مميز"<sup>(٣)</sup> .

وتأمل الشعراء في السماء محاولين إدراك جمالها مستمددين من خصائصها مادة في نظمهم، فاستمدوا من معنى السماء معاني العلو والارتفاع، ومن عناصر هذا الارتفاع مادة في تشكيل الصورة الفنية ، فاستمدوا من دلالات هذا الوجود صوراً فيها من الإبداع والجمال شيئاً كثيراً، وهذا ما نلمسه عند تميم بن المعز

(١) الأدب العربي في مصر من الفتح إلى الفاطميين : ٢٦٤ .

لدين الله من استحضار النفس المتعالية والهمة الأبية التي لا حدود لها، وما استوعبته من آفاق السماء الرحبة وخلجات النفس ومكونات الضمير .

وتميم شاعر فذ قد صنع عبقريته الشعرية بنفسه ، وعكس تأملات فكره على شعره ، واتخذ من السماء رمزا يستشرف فيها طموحات نفسه فيشارك أماكن السماء في مدحه ليعبر عن كرم ممدوحه يقول:

(الكامل)

وَطَلَعَتْ مَعَ شَمْسِ الظُّهُرِ لِعِيُونِنَا  
مَعَ الْهَلَلِ هَلَلَ<sup>(١)</sup>  
شَمْسًا وَأَوْلَى خَنْ  
كَانَ أَعْيَا  
وَالا  
وَرْجَعَ  
كَانَ  
مَعَ شَمْسِ الظُّهُرِ  
قَدْ نَهَضَتْ إِلَى الْعَلَا فَحَوَيْتَ مَا  
السَّحَابَ  
أَبْكَارَ  
لَقَدْ طَلَّتِ النَّجُومَ تَسَامَيْ  
حَتَّى لَقَدْ  
الْمَلَكِ  
أَيْهَا جَوَهْرًا  
الْإِنْعَامَ  
صَلَّى مَتَّأْمَمَ  
رَبِّي حَكْمَةً وَفَعَالَ  
الْمَعَالِي  
لَا مَنْ  
اللَّهُ عَلَيْهِ ائِمَّةٌ  
لَا إِلَهَ إِلَّا  
صَلَّى مَتَّأْمَمَ

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ٣٥٥.

نـحن أـمام لـوحة فـنية تـعبـر عن تـنـقـل الشـاعـر بـيـن الـأـمـكـنـة السـماـويـة (الـنـجـوم، السـحـاب، الشـمـس ، الـهـلـال) ، وـكـلـها عـنـاصـر سـماـويـة تـنـقـل فـي أـرـجـائـها ليـجـسـد مـعـانـي الرـفـعة، الـكـرـم، وـالـجـود، وـالـدـلـالـة عـلـى النـور ، فـهـو يـشـبـه فـضـل أـخـيه وـكـرـمـه بـالـمـطـر الـذـي يـعـم خـيـرـه كـلـ الـأـرـض حـتـى اـرـتـقـع سـمـوـاً وـرـفـعـةً من رـفـعـة النـجـوم ، وـأـشـرـق بـأشـرـاق الشـمـس خـيـرـاً وـمـنـفـعـة.

ويشرك عناصر الطبيعة السماوية بفخره بأخيه عندما أقام بسردوس<sup>(١)</sup>،  
وابتعد عن قصره في القاهرة فوصف غيابه بفقدان الأرض زينتها ويشبه حضوره  
فيها باشراقة الشمس وبهجة البدر في أفق السماء عندما قال :

(الكامل)

تم ور خلّاد فتها تك دات فغ فتها كمال لها الأرض التي

جاءت دلالة المكان هنا بكونها قائمة على ثنائية متمثلة بـ الفقد (الارض المظلمة) ، والحضور (الشمس والبدر).

و لا يكتفي الشاعر بعرض السماء ، فأخذ يركز على موجوداتها من النجوم والكواكب ، فيصفها عبر العين الشاخصة التي تنظر عبر تنقلاتها إلى الأعلى فتلقى السماء بألوانها وحالاتها الجوية ، وهذا ما نقله لنا الشاعر إذ قال:

(الجزء)

(١) سردوس ، كان احد خلجان مصر التي على جوانبها الجنات ، ينظر : معجم البلدان : ٢١٠ / ٣ .

(٢) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ١٨١ .

ف ق د ط ا و ع  
 ال ف ج ر  
 م ئ ث ل خ ض ا ب الشع ر  
 ك الجور او الظا م او ك الغ در  
 و انج م الج وزاء في ه  
 ت س ر ي  
 ك ا ن م ا  
 ل ت د ر ي  
 ف ي ب م ا ع  
 ل ه ا و ف ق ر  
 و ل ل ث ر ي ا ط م ف ي  
 ال ب در ف ه ي ل ه ح ي ث  
 م ض ف ي ال ا ثر<sup>(١)</sup>

ففي هذه الأبيات يصف شاعرنا حالة الليل وكيف تعمل أنجم الجوزاء والثريا عندما تتخذ من السماء مكاناً تجري فيه لتقيس المسافات بينهما ، ولتعرفن مقدار بعيدهما ، وهي تطارد البدر في شدة لمعانه لترك الأثر نفسه الذي يتركه في السماء ، فالمكان السماوي أراد به التعبير عن علو همة .

ويوظف النجوم والكواكب الأخرى للتعبير عن أحاسيسه وأغراضه وموافقه فالشاعر يحاول دائماً تفضيل من يمدحه أو يتغزل به على مظاهر الطبيعة التي

(1) الثريا ، من الكواكب «سميت لزيارة نوها، وقيل: سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مراتها ، اللسان ثرا».

(2) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ١٨٩ .

ذلك: تتميز بالعلو والرفة كالشمس والقمر والكواكب والنجوم، أو مساواتهم بها، قال في (جزوء الكامل)

فـ إـلـى اـرـتـقـي اـنـو  
 الـذـى مـلـزـمـاـ جـوـهـىـ اـنـتـتـ  
 مـوـمـ اـفـ وـقـ النـجـ مـوـمـ  
 وـكـ ذـاكـ لـوـ تـبـ غـىـ  
 الـتـخـ مـوـ وـ مـ  
 لـذـاـ تـ مـ تـ  
 الـتـخـ وـمـ (١)

سخر الشاعر النجوم في مدحه، فهو يدعو لمدحه أن ينال من الرفعة  
والعز والعلو ما فوق النجوم ما دامت منزلتها رفيعة، فهو يتربع بمدحه من  
رفعة مكانه إلى أرفع منزلة.

ومن الإشارات الأخرى التي أراد بها استجلاء وابراز منزلة المدوح، قوله:

(الطویل)

وَمَنْ قَاسَ بَذْرَ الْتَّمَّ عِنْدَ كَمَالِهِ  
بِنْجَمِ السَّهَا يَضْلُلُ قَيَاسًا وَيَزْهَقُ<sup>(٢)</sup>  
تَيَّارَكَ الْبَحْرِ رَيْغَرَقَ<sup>(٣)</sup> وَمَهْمَا يَخْضُ  
ظَلَمَنْكَ إِذْ قَسَنَكَ بِالْبَحْرِ فِي النَّدِيِّ

حملت الأبيات الشعرية صورة متناقضة للعناصر السماوية من حيث اختلاف تأثيرها في نفوس ناظريها ، وهذا يحمل دلالة أن الأماكن السماوية لها

<sup>(١)</sup> ديوان تميم بن المعز ل الدين الله الفاطمي : ٤٠٢ .

(٢) السها: كوكب صغير خفي الصوء في بنان نعش الكبرى والناس يمتنعون به ابصارهم، اللسان (سها).

تأثيرات مختلفة ، واستطاع شاعرنا أن يستغل ذلك التباهي في رسم صورة لممدوحه بأنه كالبدر عند اكتماله وهذا فيه من علو منزلة الممدوح ومن يقيسه بنجم السها وهو نجم صغير في السماء يظل ويزهق ، فضلاً عن أن البدر هي حالة اكتمال البدر التي تمثل عند الإنسان نهاية النضوج .

وهو بهذا يكون صاحب نظرة جمالية ذوقية بإظهار جمال المكان السماوي المتمثل بـ الكواكب والنجوم ، واستطاع أن يوظفها في شعره لتبيين فيض تأملاته ، وصدق مشاعره .

المبحث الثاني

## المكان الصناعي

## المبحث الثاني : المكان الاصطناعي

لم يكتف الإنسان بالأماكن الطبيعية التي آوى إليها أول مرة ، لكونها لا تلبي احتياجاته كافة، أو يشعر عبرها بإنسانيته ، فاصطنع لنفسه أماكن يستشعر الإنسان فيها بالراحة والأمن والطمأنينة ، فهي أماكن هيأها الإنسان لراحة واستقلاله ، وتشمل كل ما تدخل الإنسان في صنعه من بيوت ومدن وأماكن حضارية<sup>(١)</sup>، فهو المكان الذي تدخلت يد الإنسان في تشكيله وإعطائه طابعاً مختلفاً عن غيره ، وقد تغيرت العلاقة بين الإنسان والمكان، فارتبط هذا التغيير بمدى اتساع عقلية الإنسان وتطور الحياة الثقافية والحضارية ، فاعتمد الإنسان على وسائل جديدة في حياته تتماشى مع الزمن الذي عاش فيه.

وفي ظل الدولة الفاطمية تطورت الحياة العمرانية والحضارية ، وبعد أن انتقلت الخلافة الفاطمية إلى مصر ، فإذا هي بلاد زراعية يجري فيها نهر النيل العظيم ، وقبل دخول الفاطميين إلى مصر كانت تعاني تدهوراً اقتصادياً، فعمل الفاطميون على إصلاح الحال ، فعنوا بالزراعة ، وعني المعز ومن جاء من بعده بالجسور وتطهير الترع ، وتشجيع الزراعة ، فتقدمت الحياة وتحسنت الأحوال كثيراً<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن ذلك ما عرف عن الفاطميين من ثراء دولتهم ، وبذخهم الذي لا مثيل له، فقد شيدوا في القاهرة المدن والقصور الفخمة وزينوها بالبساتين حتى ليخيل للرأي أنها قد شيدت من أحجار كريمة ، واهتمامهم بالمتاحف وبناء المساجد والجوامع والمكتبات ، ودور العلم حتى بلغت القاهرة أيام الفاطميين مبلغاً من البهاء والجمال والعظمة نافست فيه بغداد عاصمة العباسيين<sup>(٣)</sup>.

وقد عني تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بالأماكن الحضارية ؛ إذ لها حضور واسع وأثر كبير في شعره ؛ لأن "المكان الجغرافي يكتسب داخل النص

(١) ينظر: المكان ودلائله في الرواية العراقية ، (أطروحة دكتوراه) ، رحيم علي جمعة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣: ٣٤.

(٢) ينظر: الحالة الاقتصادية في مصر في عهد الفاطميين : ٤٨.

(٣) ينظر: الحلقة السيراء : ٢٩٧/١.

أبعاداً نفسية واجتماعية وتاريخية وعقائدية<sup>(١)</sup> ، وتتعدد الأماكن الحضارية تبعاً لتنوع الحاجات الإنسانية وبتنوع قوانين الحياة المنظمة لها وحملت في شعر تميم دلالات مختلفة ، ولدراسة الأماكن الصناعية ، يمكننا أن نقسمها على قسمين : الأول : الأماكن الخاصة ، والآخر : الأماكن العامة .

### أولاً: الأماكن الخاصة

يتميز المكان الخاص بميزات ؛ منها أنه يستقطب الحيثيات الخاصة به وبصاحبه ، وهو يمثل نقطة ارتكاز وجذب لكل الأمكنة الثانوية ، فهو يمثل الأساس الذي تطلق منه تلك الأماكن نحو الخارج ، وقد " تكتسب الأساق المكانية الخاصة التي يبدعها النص بعينه ، أو مجموعة من النصوص ، دلالة من خلل وضعها في أطار أبنية صورة العالم هذه"<sup>(٢)</sup> ، وهذا المكان يخضع لعلاقات إنسانية تترك أثراً بمرور الوقت .

وتعتبر أماكن السكن أول تلك الأماكن التي تمثل منطلق الإنسان نحو المجتمع الخارجي ، وهي المكان الحقيقي لمشاعر الإنسان الصادقة نحو بيئته ومجتمعه ، والبيت هو أول تلك الأماكن وأكثرها أهمية ، فهو المأوى الطبيعي للإنسان ، وهو جزء من حياته ، وامتداد لنفسه ، وهو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكاراً وذكريات وأحلاماً إنسانية ، ويعمل على دفعها بين حنایاها ؛ ولأن البيت الذي ولدنا فيه محفور بشكل مادي في داخلنا فهو يعتمد على ذلك الدمج ليمنحك الماضي والحاضر والمستقبل إبعاداً ودلالات مختلفة كثيرة ما تتدخل أو تتعارض ، فمن دون البيت يصبح الإنسان كائناً مفتتاً<sup>(٣)</sup> .

وللبيت حضور في الشعر العربي وقد تعددت الألفاظ الدالة عليه ، فهو الدار والمنزل والمسكن والمحل وبيت الشعر ، وعلى الرغم من تعدد التسميات إلا

(١) بلاغة المكان: ٢٣-٢٤.

(٢) مشكلة المكان لقني ، (بحث) ، ضمن كتاب جماليات المكان : ٧٠ .

(٣) ينظر: جماليات المكان، باشلار: ٤٣-٤٥.

أنها تلقي جميرا في إفراز دلالة واحدة مفادها أن هذا الفضاء مكان لابد منه لضمان استقرار الفرد واثبات وجوده ، وقد برع البيت في الشعر بوصفه "ممارسة ونشاطا إنسانيين، مرتبطين بالفعل البشري ، ويحملان من بين ما يحملانه موافق وعواطف، وخلجات ، ومشاعر وانفعالات"<sup>(١)</sup> ، وتتسع دلالة البيت في الشعر وتضيق، فهو يتعدى الحدود الهندسية للمكان إلى المشاعر والأحاسيس والوجدان والأفكار التي تغدق عليه ، فمتلما هو البيت - الحب والأسرة والاستقرار والراحة- فهو يمثل في جانب آخر منه الغربة والفارق والوحشة والعداء ، فالبيت يعد سجلا لمشاعر وحياة الإنسان، وعلى جدرانه تواريخ الأيام الباقية، ولذا فهو الرحم الاجتماعي الأكثر عرضة لتقلبات الأيام"<sup>(٢)</sup>، ويتخذ البيت دلالة روحية ووجودانية تثيرها الذكريات، فتتمثل في الحنين إليه بعد فراقه، متلما وجدهناه عند شاعرنا في قوله :

(الطویل)

إذا حان من شمس النهار غروب  
تذكرة مشتاق وحمن بـ غريب

أَلَا أَبْلُغُ غَايَةَ الْقَصْرِيِّ مِنْ فِي الْمَقْسَأِ أَنْتَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ هُنَّ فِي سَارِقَتْهُنَّ

**كـ بـ (٣)**

فِمَرْضُهُمْ مَا حَيَثِ الْحِيَاةُ تَطْرِي بِالرُّبَا إِلَى الْقُصَيْرِ دَيرِ سَاحَتِي إِلَى الْرُّبَا

<sup>١)</sup> إشكالية المكان: ٣٩٣.

(٢) دلالة المكان في قصص الأطفال: ٢٧.

(٣) المقص ، اسم مكان كان من متنزهات شمالي القاهرة ، ينظر : معجم البلدان : ١٧٥ / ٥.

(٤) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٥٢ .

من مازل لم يُلْبِس بها العيش شاحب  
 ولم تَمْتُ فَفِي هنَّ الخط وَبَتَّنُوب  
 هـي الـوطـن الـنـائـي الـذـي لـم تـزل لـنا  
 نـفـوسـهـ إـلـيـهـ نـزـعـهـ  
 وـقـاـبـهـ وـبـ(٤)

انشد تميم هذه الأبيات وهو في الطواحين ، وهي المكان الذي نفي إليه الشاعر وصف لنا الحالة الإنسانية مصورةً عظم الأسى والحزن الناجم من فراقه دياره وأهله وأحبته ناقلاً لنا هذه الصدمة العنيفة التي أنتجت شعراً يفيض بالمرارة والدموع والاشتياق إلى منازله وقصوره وكل شيء يذكره بمصر فان "أول رموز السوق والحنين هو المأوى والدار والمنزل"<sup>(١)</sup> ، فالشاعر حين يستذكر هذه المنازل ، فإنه لا يستذكرها لجدرانها أو لعظم بنائها ، وهندستها ، وإنما يستذكر تلك الأيام الخوالي التي عاشها في كنف هذه المنازل ، وقد نفي فيها أياماً وليلات ، وله في كل وقت معها ذكرى تهيج أشواقه ، وأحزانه .

ويسترسل في عرض المشهد الذي يمر به الإنسان ، وهو مشهد فراق الديار والأوطان ، وهو يقول :

(الطوبل)

غـدا عـامـرـ الأـوطـانـ فـي مـقـلـيـ قـفـراـ لـبـيـنـكـ  
 عنـهاـ وـاغـتـدـىـ سـهـلـهـاـ وـغـرـراـ  
 وـأـظـلـمـ تـهـاـ الـآـفـاقـ  
 تـوـحـشـ كـأـنـكـ كـنـتـ الصـبـحـ وـالـشـمـسـ  
 وـالـبـلـدـ درـىـ

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٨٩٩/٣ .

وَمَا لَيْسَ أَرَى هَذِهِ الْقَصْدَرَ كَأَنَّهَا  
قَدْ آمَلَتْ مُذْغَبَتْ عَنْ أَرْضِهَا ذُعْرَا

...

سَقَى سَرْدُوسَ الْغَيْثَ مَادَمَتْ ثَاوِيَا  
صَوْبَةَ الْوَرْقَ الْخَضْرَا  
وَلَا بَرَحَتْ تَخَالَ فَيْ حَذَى رُوضَهَا  
كَمَا اغْتَالَتْ الْعَذْرَاءَ فِي حَلِيَّهَا كِبَرَا  
رَبُّ وَعْدِ دِيَارِ بِالْعَزِيزِ  
عَزِيزَةَ يَطَّاولَ فِيهَا  
مَجْدُهُ الْأَنْجَمُ الْزَّهْرَا<sup>(١)</sup>

إنّ عنصر الإبداع في هذه القصيدة يتمثل في تصوير الشاعر للعاطفة في لقطات تبرز حاله وحال داره عندما تأخر تميم عن العزيز بالله لعلة عرضت له منعه من المسير إليه ، فأصبحت داره مقبرة لبعد العزيز عنها فأظلمت آفاقها فدياره عزيزة بوجوده ، وتزداد رفعة وسموا ، فحملت دلالة الاتساع بوجود أخيه ، ودلالة الضيق بغيابه عنها ، فعكسَت دلالتها على نفسية الشاعر فعمل على تصويرها في هذه القصيدة ، فـ "البيوت تعبّر عن أصحابها ، وهي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه" <sup>(٢)</sup> .

ويقف الشاعر امام المكان - في بعض شعره - وقفه يشوبها الألم والحسنة ، والحنين ، ويبدو اتصاله بالمكان - في هذه الحالة - اتصالاً روحيّاً، ولا سيما "

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ١٤٦.

(٢) نظرية الأدب: ٢٨٨.

إذا كان المكان هو وطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط برحم الأرض<sup>(١)</sup> ، فيقول في ذلك :

(الطويل)

وَمَا بِلِدُّ إِلَّا الَّذِي لَمْ  
بِهِ سَكَنْ يَشْتَأْرِفُ  
وَحْبِيَّ  
إِلَى اللَّهِ أَشَدُّ وَوَشْكَ بَيْنَ وَفْرَةِ  
لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْقَادِيَّةِ  
نُّدُوبُ<sup>(٢)</sup>

فهذه الأبيات الشعرية زاخرة بألم البعد والفارق ومرارة النفي والغربة والشوق إلى الأهل والوطن ، والأصحاب ، ويبقى الإنسان يعاني من ألم الفراق ويحنُ إلى بيت الطفولة فهو أحد ابرز المكونات اللاشعورية الثاوية في عقل الشاعر، بوصفه المكان الأثير لدى النفس<sup>(٣)</sup>.

وحملت الدار دلالات متعددة ، ومثلاً كانت محلاً للنواب ، ومواطن للبكاء ، ومجمعاً لصروف الدهر ، فهي - أيضاً - تمثل في كثير من الأحيان محلاً للأضياف ومنزلًا للسعد ، مثلاً نجده في قوله :

(الخفيف)

بَأْبِي الزَّائِرِ الَّذِي مَلَأَ  
اللَّخْظَ بِسَهَاءَ وَكَلَّ  
رُورَا

(١) جماليات المكان ، (بحث) ، اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، ع ٢ ، ١٩٨٦ ، ٧٧.

(٢) ديوان نعيم بن المعز لدين الله الغاطمي ٥٢.

(٣) ينظر: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ٣٠٣.

خِلْتُ مَقْبَدَ الْبَدْرِ لَا  
 وَقَدِيمًا أَبْنَاءَ دَارِي  
 الْكَوْرَامُ بِدُورَاهُ  
 زَادَ أَنْسَانًا فِي اِلْيَتِ  
 أَنْكَلْبَلَ بِهِ وَمِنْ زُورًا<sup>(١)</sup>  
 بِهِ أَرْوَحَ مَأْرُوفًا

فأسبغ على داره مباهج الفرح ، ويصفها بالإمتاع والمؤانسة بوجود زائره ؛  
 الذي يشبهه بالبدر في إشراقه ، ويزداد بيته رفعة وسموا بحضوره .

ولم تكن الديار الثيمة المكانية الوحيدة التي مثلت سكنى الشاعر إلى جانبها مثلت القصور أماكن اجتماعية أعطت ساكنها تجارب متعددة كلما انتقل من مكان إلى آخر ، وانمازت بجماليتها ، ووسمت حياة ساكنها بالراحة والاطمئنان ؛ إذ كانت المظاهر الجمالية المتنوعة من مظاهر الحضارة ، والمساكن والقصور وذكر جمالها وألفتها ميداناً خصباً للشاعر العربي وهي "تبث في النفس الشاعرة روح الحياة، وجمالاً للتعبير، ودقة التصوير، والكشف عن خبايا الجمال وموطنها، ووصفها وصفاً جميلاً بارعاً في قوالب فنية، رائعة في صورها"<sup>(٢)</sup>، وقد تجلت أهمية القصور ولاسيما القصور السلطانية في جلب اهتمام الشعراء والأدباء في كل زمان ومكان، فهي من جهة ترتبط بالممدوح، أو الملك، أو الأمير الذي أنشأها، ومن جهة أخرى ترتبط بتاريخ الأمة وحاضرها وزهوها<sup>(٣)</sup>، واستطاع شاعرنا وهو ابن القصور الفاخرة أن يرسم عالمها في شعره، فكان ترجمة صادقة لحياة القصور بكل ما فيها من فنون حضرية، وتيارات فكرية، وأدبية، وغذائية ، وكان تميم يدقق في أوصاف القصور، ويبدع في إظهار جمالها وزخرفتها، حتى

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي . ٢٣٣:

(٢) اتجاهات الشعر في القرن الرابع الهجري : ٢٣٨:

(٣) ينظر: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، (أطروحة

دكتوراه) . ٢٠٦:

يجعلها محسوسة تزخر فيها الحياة والنضارة عندما يقول:  
(المتقارب)

ولما رأيت قصرا  
العزيز روز  
ها ل السن  
والمح  
وق د بضم روب  
الحرير قابله من ها  
البه هي يا  
حسبه مقاصي  
جاته وخذلت  
العزيز زبه من رضي  
إمام تکف نصر  
اله فارضى دى  
الإله وسر النبي يا<sup>(١)</sup>

لم يصف تميم قصور العزيز وصفا مستقلا، وإنما جاءت عنده وسيلة لغاية  
ابعد، تجلی في إرضاء المدوح، وإحاطته بعبارات الثناء والإطراء ، وجعلها  
جنة، ومدوحه فيها رضي ، فالمكان هنا تعدى كونه المنزل الذي يأوي الشاعر  
إلى تصوير نفسه التي تحاول إرضاء مدوحه ، وإسباغ الصفات المحسوسة  
عليه، فمدحه على مضض لأنه أكبر منه واحق بالخلافة وهو يعرف أن العزيز  
يعرف ما يضرم تميم، لذلك اراد أن يظهر له أنه لا يفكر بالخلافة، فنال هذا المكان  
قدسية من قدسيّة ساكنيه ، وفيه (إمام تکف نصر الهدى ) ، وفيه (أرضي الإله  
وسر النبي).

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٤٦٠

إن المنازل التي بناها الخليفة مظہر من مظاهر العزة ، وقد تعدى وصفها الحسي إلى وصفها المعنوي المتمثل في الخلود ، والمجد ، والسؤدد ، وهي مظاهر - تعكس في جانبها - سعة الدولة، وقوة الخلافة ؛ التي صارت تصاهمي قصور كسرى وقيصر ، بل تفوقهما مجدًا وعزًا ، وإن تصوير القصور على هذه الهيئة له جانب سياسي فضلاً عن الجانب المعنوي ، فالشاعر بوصفه هذا يبدي رغبته في إظهار صورة الدولة الفاطمية القوية ، والمتربعة ماديًّا ، وهو بهذا يضفي قوة عليها ، ومجدًا لخليفتها ورجال دولتها .

لقد حملت القصور دلالات ترمي إلى علاقة الشاعر مع الخليفة الذي يحتل منزلة كبيرة عنده مثلكما عبرت عن افتتان الشاعر بجمال الحضارة الفاطمية ، ومظاهر العمران التي اهتمت بها .

### ثانياً: الأماكن العامة

مثلت الأماكن الحضارية العامة في ديوان تميم بن المعز حضوراً واسعاً؛ إذ دلت على انفتاح الذات نحو الأماكن الواسعة الرحبة التي تجد متطلباتها من الراحة واللهو، والهروب من الواقع ، فتخضع المساحة النفسية للشاعر نحو المكان ، أي الامتداد الداخلي واتساعه في النفس إلى مقدار الأثر التي يحتملها في البنية والدلالة عبر فاعلية الإيحاء، فكلما زاد أثر المكان تنامت معه مساحتها النفسية<sup>(١)</sup> .

ويكمن نجاح الشاعر في مقدرته على إخراج المكان من الحياة الخاصة إلى الحياة العامة ، وهو ما يعمل شاعرنا على توظيفه في شعره، فانتقل من الأماكن الضيقة الخاصة من منازل وقصور إلى أماكن أكثر اتساعاً ، فمن ذلك الأديرة التي كان الشاعر يقصدها، وهي الحانات ودور الضيافة، وكان يقصدها مغرمو موائد الشرب ومحالسه ، فيقطعون المسافات للوصول إليها ، وقد تميزت بشهرة خمورها وما يعقد بها من مجالس للطرب والقصف ، ودخلت الأدب العربي عن طريق الشعر، إذ ذكرها الشعراء في أبيات شعرية أو قصائد كاملة ، وذكروا

(١) ينظر: إنتاج المكان: ٢٣.

أيامهم الجميلة التي قضوها فيها<sup>(١)</sup>، وشاعرنا عرف عنه حبه لحياة اللهو والمجون، فبعد أن أهمل وأبعد عن ولایة العهد، صار يتسلى بارتياهه هذه الأديرة ، واعتزل عن السياسية ، واستسلم لحكم الله، اضافة إلى ماذكر فإن تميم كان قد كون ندماء له مجان من الرسيين وشعراء امثال صالح بن رشدين... وغيره ، فكان يرتادها دائمًا بوصفها المكان البعيد عن أعين الناس هروباً من حالة يريد إخفاءها ؛ لأن أماكن المناجم مع الخلفاء والأمراء تزدان بالحشمة والوقار مما يفرض عليه أن يراعي المجتمع، وهو ما يتناقض مع ما تكنته نفسه الراغبة في الشرب واللهو، فقال في إحدى قصائده:

(الطوبل)

أيـا دـير مـرـحـنـا سـقـتـك  
رـعـودـ منـ الغـيـثـ  
تـهـمـ مـرـأـ وـعـ وـدـ<sup>(٢)</sup>

فـمـ وـاصـلـتـنـا فـي رـبـاكـ أـوـانـسـ  
بـالمـدـامـةـ عـلـيـنـا يـطـفـنـ  
غـيـدـ

وـكـمـ نـابـ عـنـ نـورـ الضـحـىـ فـيـكـ مـبـسـمـ  
الـجـنـ خـ دـوـدـ

وـمـاسـتـ عـلـىـ الـكـثـبـانـ قـضـبـانـ فـضـةـ  
مـهـنـ نـهـ وـدـ

(١) ينظر : الأندية الأدبية في العصر العباسي : ١٧٨ .

(٢) دير مرحنا ، يقع هذا الدير على شاطئ بركة الحبش قريباً من نهر النيل ، وتقع على جانبيه بساتين أنشاء بعضاً منها تميم بن المعز لدين الله ، وهو من أماكن اللهو والطرب ، ينظر : الديارات : ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ١٢٧ .

(٤) دير القصیر ، من اديرة مصر ، يقع في أعلى جبل المقطم ، وهو من الأديرة التي حسن بنائها ، محكم الصنعة ، نزه البقعة ، فيه رهبان مقيمون فيه ، ينظر : الديارات : ٢٨٤ .

لِيَالٍ أَغْدُو بِيَنْ ثُوبَنْ صَبَابَةَ  
وَلَهُ وِلَيَامْ زَمَانَ وِلَيَهُ  
وَدْ

وَإِذْ لَمْتَ لِسَمْ يُوقَظُ الشِّيرَ بِلِيَاهَا  
أَثَرَى فِي الغَانِيَاتِ حَمِيَّ<sup>(١)</sup>

إن المكان هنا ، هو مقصد للراحة ، والاطمئنان عند الشاعر ، ففيه قضى لياليه الجميلة ، وفيه تعرف ألوان المتع الحسية من الغيد الحسان ، والغانيات الجميلات ، وفيه تمتع بشرب ألوان الشراب ؛ الذي ينسيه همومه ، وألامه ، ويضفي عليه أشكالاً من المتعة ، والهروب من الواقع، فالمكان هنا صار مقصدًا للشاعر ، وغير الشاعر لقضاء الأوقات الجميلة فيه ، ومن هنا فقد تعرى هذا المكان عن إطاره الخاص ؛ ليكون مقصدًا عاماً يلجأ إليه أصناف من الناس ، لقضاء الوقت ، وطلب المتعة ، والابتعاد عن هموم الحياة .

والحدائق والبساتين أماكن أخرى للراحة، بل هي ملاذ للهروب من الواقع الذي يحاول أن ينسى كل ما فيه من متناقضات يرفضها، فالمكان "يقدم حلًا للمبدع حين يريد الهروب، أو حين يعمد إلى عالم غريب عن واقعه، ليسقط عليه رؤاه التي يخشى معالجتها، وهنا يتحول المكان إلى رمز وقناع يخفي المباشرة ويسمح لفكر المبدع أن يتسلل من خلاله"<sup>(٢)</sup>.

وكثير ما كانت بساتين قصور الخلفاء والأمراء ما تجذب نظر الشعراء فكيف بتجميل الأمير والشاعر الذي تربع على عروش القصور وبساتينها، فكان كثيراً ما يصف مجالسها ووقت اللهو فيها ، فقال:

(الطويل)

(٢) جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور ، مدحت الجبار ، (بحث) ، ضمن كتاب جماليات المكان ، ٢٣: .

فَدَّ اجْتَمَعَ الْبَسْطَانُ وَالخَمْرُ  
وَهُرَكَّتُ الْأَوْتَارُ  
الزَّمْنُ

فَمَالِكُ لَا تَغْدِي دُوَى إِلَى السَّرَّاجِ غَدْوَةً  
يَبِيكُ فِيهَا كَلَّ مَا تَشَهَّدُ إِلَى السَّكَرِ

هَلْ الْعِيْشُ إِلَّا قِينَةً  
وَمَدَامَةً وَساقُ مَلِحٍ لِّيْسَ يُعْصَمُ لَهُ  
أَمْرٌ

فَبَادِرْ بِقَابِيَا الْعَمَرْ مَا دَامَتْ قَادِرَا  
وَمَاجَرْ أَرْسَانَ الْحَيَاةِ لِكَ الْعَمَرْ

بِفَتِيَانِ صَدَقَ مَنْ نَدَمَّاكَ سَادَةً  
إِذَا مَا آتَشَ وَالْمِيمَ يَجْرِي بَيْنَهُمْ هَجَرْ

كَرَامَ ظَرَافَ لَا يَمْلَأْ  
حَدِيثَهُمْ فَيِ  
مَجَالِسُهُمْ كِبَرَ<sup>(١)</sup>

يبين الشاعر في نصه أريحية المكان الذي لجأ إليه لاقتطف ثمرات الحب والحنان، فالمكان المتمثل بـ (البسطان) الذي هو "رياض تلقى كبير رعاية من الإنسان وتمتد لها يد الصناع بالتنسيق والتنظيم وتزودها بما تفتقده الرياض من بعض وسائل الإمتاع ، وتحوز ميزة القرب من المدن"<sup>(٢)</sup>، اجتمعت فيه كل أسباب الجمال ، والراحة، والخمرة ، والموسيقى العذبة ، والغوانى ، والندامى وغيرها من مسبيات المتعة ، وانطلاقاً من هذا المكان كانت دعوته لنفسه أولاً ، وللآخر

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ١٦٣.

(٢) الصنوبرى شاعر الطبيعة . ٩٣.

بأن يستغلوا ما تبقى من العمر للاستمتاع بأجواء الأمكنة التي تبعدهم عن مشاكل الحياة واعين الرقباء ، فجاءت دلالة المكان هنا للتعبير عن مجالس الأنس التي لا تطيب إلا في الرياض الظاهرة . وقال أيضاً في سياق مشابه :

(السريع)

نَحْنُ مِنْ بَسْتَانٍ فِي  
نَزْهَةٍ مَّا لَاهٌ  
سَدَّ وَأَلَّا حَدَّ  
جَالَ رَّبَّ يُطْفَئُ  
الْمَشَّافَةَ وَيُؤْمِنُ  
وَيُؤْمِنُ الْمَشَّافَةَ

تتصفح علاقة الشاعر بالمكان برغبته بالتجوال في بستانه مع ندمائه لتنهي  
نزعاته بالغناء واللهو والفرح ، الذي يطفئ غليله من الواقع الرافض له ، فالمكان  
الذي ترنو إليه نفسه يمثل حضورا في ذاته، فهو حين يفضل البساتين لعقد مجالسه  
الخمرية واللهو ، لم تكن إلا لما تتمتع به هذه البساتين من تنوع الألوان، وتعدد  
الصور المعبرة ، التي توحى إليه بالشعر، فهو يعد حضوره في هذه البساتين  
انتصارا للذاته.

وال المجالس ، والأندية مواضع كان يقصدها الشعراء ، وهي مظهر مكاني ذو كيان خاص ، يعكس ما كانت عليه العرب من تحضر فكري وسيادة منطق العقل في الحكم ، والمشورة ، واحترام الأداء ، ويكشف عن علاقات اجتماعية تسودها الألفة، مثلاً يركز على معنى الوحدة بين القوم، لكونه يحدد أسباب الالتحام بين الأعضاء ، وتذوب فيه الخلافات، وهو بعد ذلك منبر فسيح للكلمة الشاعرة ،

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٣٤ .

والخطبة البلاغية والحكمة السديدة<sup>(١)</sup>، ولكن دلالة المجلس قد تغيرت جراء التطور والامتداد الحضاري، حين أصبح المجلس منتدى للهو والسمر والوصف.

ويرتبط الشاعر بالمجالس التي يحضرها بعلاقة حميمية لشعوره بالراحة فيها، ونستشعر ذلك في قوله :  
**(الطوبل)**

إذا أنقض الجلاس عن كل حاجب  
 فلس فلس  
 ولا بـمـلـوـلـ تـتـ دـ بـمـعـ  
 كل على أرخي يـوكـنـزـ مـجـ مـرـقـةـ  
 وتسـبـ لـ إـطـنـابـيـ عـلـيـ كـلـ سـ دـ (٢ـ

لقد كانت لمجالس الأنس أثراً لها في ذات الشاعر إلى حدٍ إِنَّهُ لَا يُسْتَطِعُ  
الابتعاد عنها ، وَإِنْ ابْتَدَعَ نَدْمَاؤُهُ مِنْهَا ، إِذْ مَثَلَتْ صُورَأَلْحِيَاَةِ التَّرْفِ وَالنَّعِيمِ الَّتِي  
يَحْيَا هَا شَاعِرُنَا ، فَالْمَكَانُ مَا هُوَ إِلَّا تَعْبِيرٌ عَنْ مَدْيَ تَمْسِكِ الشَّاعِرِ بِهِ ، فَأَيُّ مَكَانٍ  
يُوفِرُ لَنَا الرَّاحَةَ وَالْأَمْنَ نَجْدُ أَنفُسَنَا أَكْثَرَ التَّحَمَّاً بِهِ .

وفي موضع آخر قال :  
لَوْ فِرَشَ دَرَّ الْمَجْلِسِ  
نَضَرَ رَدَّاً وَالْتَّبَّاقِوتُ  
وَبِالْيَاقِوتِ

(١) ينظر: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري: ٢٢٥.

. ۱۲۴ : (۲)

مَا كَانَ عَنْ حَسْنٍ  
مُسْتَغْرِيَةً لَا خِيَرَ فِي  
بِيَتِ بَلَاسِتِرِ<sup>(١)</sup>

إن المجلس بوصفه مكاناً اجتماعياً حضارياً لاجتماع الشاعر مع نديمه بالله والسمير ، لا يزداد حسناً إلا بوجود أهله و زواره ، وفي هذا النص يصف الشاعر بأنه هو من لا تستغني عنه تلك المجالس ولو فرشت بالجوهر والياقوت ، فالمجلس من الأماكن التي كانت ملجاً للشاعر ليدفع عنه الهموم التي كرت عليه ج gio شها مذ كان صغيراً ليجد فيها الراحة ، لذا فكان شديد الارتباط بها .

ومن الأماكن الصناعية الأخرى في ديوان الشاعر ما نرى فيها التوظيف المكاني غير المباشر ، فهي ليست بالأماكن المباشرة مثل الجبال ، الصحراء ، الاندية ، وغيرها ، وإنما هي الوسائل التي تتخذ من الأماكن المباشرة مكاناً لاستقرارها ، كالدواليب والسفن والمنابر ، فالدواليب التي عرفت بـ " الناعور " واحد من النوعين ، وهو الدواب سمى كذلك لنعيده <sup>(٢)</sup> ، إحدى الآلات التي تساعد في عملية الزراعة ، وظاهرة من مظاهر الحضارة لأهميتها في نقل المياه إلى الزروع وهذه الآلة إنما قامت في ثيمة مكانية طبيعية اتخذت من المياه مكاناً لاستقرارها ، ولشكلها ، وحركتها ، وما تصدر من أصوات في مكان عرف بهدوئه جعلت الشاعر ينصت لها لترى أثرها في تجربته الشعرية ، فأخذ يصفها قائلاً :

(السريع)

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ١٩٥.

(٢) أساس البلاغة ، (نعر)

ناعورة  
الله  
أني ن  
أنت  
لما شكت  
اويس لها<sup>(١)</sup>

أني رة  
تها صد  
تدويره  
وها ودمع  
وها وادي<sup>(٢)</sup>

أنما بئر  
ها زان الكي  
ها

ويُحِسْ بِ الْخَشْخَاشَ مِنْ حَوْلِهِ  
 أَشْبَارَتْ دِبَابِيسَ هَا  
 وَانْفَتْ حَرْجِسَ عَنْ نِعْدَةِ  
 مَصْفَرَةِ مِنْ دَاقِهَا  
 مِنْ بَوْسَ  
 وَأَقْحَانَ وَرْكَثَ  
 الْمَهْمَةِ مِنْ دَقِّهَا  
 مَفْتَدِيَةِ مِنْ بَعْدِهَا  
 تَعْبِيَسَ  
 وَسَوْسَنِ الْقَرْصِ لِمَمَا بَدَتْ  
 آثَارَةِ فَلَيْلَةِ مِنْ  
 مَلْمُوسِ هَا  
 نَبَّةَ الْقَطْرِ  
 بَأَنْدَائِهِ إِذْ نَثَرْتَ  
 السَّحْبَ مِنْ كَيْسِهَا  
 تَلَعْ بِالْإِبْصَارِ  
 أَنْوَارُهُ بِ  
 الْأَمَانِيَّ  
 بِمَفَالِيسِ هَا<sup>(١)</sup>

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ٢٤٥ - ٢٤٦.

حيثما يحيط المعاكير التي صدر فيها المنشاوي ، وحيثما يحيط بخيالاته مكنته حيثما يحيط معاشرة عن الحالة النفسية للشاعر وما يعيشه من المفارقات والحنين الذي كان طبيعته الطبيعية نوعاً محسراً . والتقدم الحساري أيات الحادحة - الفاضحة أكثر كثیر في إنشاءه وسائل تشعل حيزاً مكانياً مهماً ، ومنها السفن التي تکمن أهميتها بوصفها واسطة نقل صارمة ، ارتبطت لدى الشاعر برحلاته التئيرية ، فأخذ يصفها قائلاً :

(الكامل)

يـ لـ نـاـ لـ يـ وـمـ  
يـ مـ خـتـصـرـ  
يـ مـ سـمـرـةـ يـ وـمـ  
يـ قـصـرـ  
يـ وـالـسـفـنـ  
يـ بـنـهـ فـ مـوـجـهـ  
يـ وـالـمـاءـ يـنـدـ  
يـ فـ أـنـهـ وـاجـهـ  
يـ عـكـنـهـ دـارـاتـ  
يـ دـرـ(٢)ـ

(١) عكن، جمع عكنة وهي مانطوى وتنثى من لحم البطن سمنا، اللسان(عكن).

<sup>٢٤١</sup>) ديوان نعيم بن المعز لدين الله الفاطمي .

إن تراكم التجربة لدى الشاعر جعلته يرى الأشياء بعواطفه ، ويصفها بطريقة تختلف عن كل وصف شائع ، ففي هذا النص يصور ما رأى ، وهو أمام أكثر الأماكن التي يشعر بها بالهدوء ليجد صوت ناعورة وأنينها قد شاركته همومه والآمه؛ إذ إن أنينها عبر عن مدى انغماسها بالشجو والأسى ، فأخذ يسبح بخيالاته مستلهما المعاني التي صور فيها الناعورة ، نافذاً في صدره خيباته ، فهي ثيمة مكانية أصبحت معبرة عن الحالة النفسية للشاعر وما يعانيه من الم الفراق والحنين

لقد كان للبيئة الطبيعية في مصر ، والتقدم الحضاري إبان الخلافة الفاطمية أثر كبير في إنشاء وسائل تشغل حيزاً مكانياً مهماً ، ومنها السفن التي تكمن أهميتها بوصفها واسطة نقل مائية ، ارتبطت لدى الشاعر برحلاته النهرية ، فأخذ يصفها قائلاً:

(الكامل)

يـ لـ نـ زـ يـ وـ مـ  
بـ الـ يـ زـ مـ خـ صـ  
كـ لـ مـ سـ رـ  
يـ وـ مـ قـ صـ  
رـ  
وـ السـ فـ نـ دـ تـ صـ  
مـ جـ فـ بـ نـ  
وـ الـ مـ دـ اـ ءـ يـ نـ  
دـ رـ  
فـ اـ ئـ مـ وـ اـ جـ  
وـ كـ اـ نـ عـ  
هـ دـ اـ رـ اـ  
سـ رـ رـ (١) (٢)

(١) عكن، جمع عكنة وهي مالقطوى وتثنى من لحم البطن سمنا، اللسان(عكن).

(٢) ديوان تميم بن المعز ل الدين الله الفاطمي . ٢٤١:

فَلِبَدِيْتُ هَا أَبْدِيْنَ النَّبِيْرَ هَنَ لِلْفَرْعَانِ لِلأَهْلِ  
الزَّكِيِّ نَظِيرٌ<sup>(١)</sup>

لقد وظف الشاعر في نصه هذا أماكن (المصلى- المنبر) ، لها قدسيتها عند المسلمين ؛ ولهذا التوظيف المكانى معانٍ متعددة منها جاءت انعكاساً لثقافته الدينية، وتعلقه بتلك الأماكن بعدها عرف بمجونه ولهوه ، ولأجل أن يحيط ممدوحه ( العزيز بالله ) بهالة من القدسية وهو يصعد المنبر ليخطب بال المسلمين ، فحمل المكان الديني هنا دلالة التعظيم بالممدوح .

ووهذا فقد شكل المكان بشقيه الطبيعي والصناعي ملحاً بارزاً في شعر تميم ، وتتنوعت مصاديقه في شعره ؛ إذ تمثل بأشكال متباعدة من الأرض التي ارتحل فيها الشاعر ، وما تضمه من جبال ، وصحراء ، ورياض ، وعوالم المياه ، وعالم طبيعي سماوي ، ومكان اصطناعي حضاري ، ذي طابع واقعي ، وهذه الأمكنة بشقيها مثلت مادة للخلق الابداعي عند الشاعر .

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي . ١٤٣:

### المبحث الثالث

## موقف الشاعر من المكان

### مدخل:

لعل من أهم العوامل المؤثرة في حياة الإنسان علاقته بالمكان؛ إذ ترك هذه العلاقة بصماتها على حياته وفكره ، رفضا ، أو قبولاً. وللشاعر موافق متباعدة تجاه المكان ، وهذا التباين ما هو إلا نتيجة رؤية الشاعر للمكان وعلاقته به ، وهذه الرؤية يمكن أن تكون إيجابية متمثلة بالألفة ، أو سلبية عدائية ، فضلاً عن إن الموقف من المكان نابع من قيمته في نفس الشاعر ؛ إذ " إن اختلاف الأمكنة الجغرافية التي نسكنها تصبحه اختلافات على الأصعدة النفسية والاجتماعية والإيديولوجية ، لا شك في أن المكان الذي انتقلنا منه يبقى معنا يمارس تأثيراته على سلوكياتنا الإرادية واللإرادية ، لكن المكان الجديد الذي انتقلنا إليه يغير هو الآخر تصوراتنا ومن رؤيتنا للحياة وان كانت هيمنة المكان الأصلي كبيرة جدا" <sup>(١)</sup>.

ولم يعد المكان مجرد إطار تجري فيه الأحداث ، بل صار يحمل دلالات تعكس حالاً من أحوال الشاعر المتباعدة ، ومنها الغربة ، والألفة ، والعداء ، وصار المكان في كثير من الأحيان رمزاً يبتغي فيه الشاعر أبعد مما يعكسه ظاهر النص ، وهذه الدلالات تتسع وتتضيق عند الشاعر؛ لأنها ترتبط بـ "سياقات نفسية واجتماعية ومن يرتفع إلى درجة النموذج التصويري ، ويحول المكان وحوادثه إلى مكان مجازي" <sup>(٢)</sup>.

وثمة موقف آخر للشاعر من المكان عندما يعمل على خلع تقنية مستقبلية على المكان يتجاوز فيها مكانه الواقعي ، عندما يجعله جزءاً من التجربة الذاتية بعد أن يفقد صفاتـه الواقعية ارتباطاً باللحظة النفسية التي يمر بها الشاعر فيضيق ، أو

---

(١) بlague المكان . ١٤٥ :

(٢) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا . ١١٢ :

يتسع ، أو ينهاه<sup>(١)</sup> ، وثمة أمور تحدد موقف شاعرنا من المكان ، تعود أغلبها إلى مواقف سياسية ، أو اجتماعية ، أو نفسية ، وكل تلك الأمور تركت عند الشاعر آثاراً وموافق من المكان الذي يصب فيه انطباعاته، فيصبح موقفه من المكان يأخذ خطأً مزدوجاً متناقضاً ، يبدو أحياناً في حالة تداخل وتشابك مع المكان ، أو تناقض ، وتبعاً أحياناً أخرى ودلالات حاملة لقيم مكانية تعبّر عن الحالة النفسية للشاعر ، وتمثل هذه المواقف نقاطاً مهمة شغلت ذهن الشاعر وهي على موقفيْن:

الأول : الغربة والاغتراب .

الثاني : الألفة والمعاداة .

(١) ينظر : م . ن . ١٧٤ .

### أولاً : الغربة والاغتراب

تعرض تميم بن المعز لدين الله الفاطمي للظلم ؛ حين سُلب حقه في الخلافة الموعودة بعد أبيه ، فظل يعاني صراعاً ذاتياً أليماً انعكس على فكره وأسلوبه في الحياة ، وهو ما جعله يعاني صراعاً نفسياً، فاتخذ نمطين من الحياة ، الأول : حاول فيه أن يخفف من وطأة ذلك الصراع بسفراته ونزهاته سواء أكان بمفرده أم مع أخيه العزيز بالله مما جعله يمر على أماكن مختلفة يظل فيها يحن إلى موطنه الأصلي ، والآخر : إنه كتم ذلك الألم في قلبه فظل يعانيه صراعاً ذاتياً يتمثل بشعوره بالاغتراب ، الذي شعر معه أنه غريب مع أجواء القصر ، والخلافة ، والمدينة التي يعيش فيها ، وسنتناول في هذا المبحث هذين النمطين في مقصدين الأول: تحت عنوان الغربة والحنين ، والآخر: الاغتراب .

### أ: الغربة والحنين

استعمل مفهوم الغربة في المعجمات العربية بمعنى الابتعاد عن الوطن، فقال الازهري (ت ٢٧٠ هـ): "يقال: الغرب الذهاب والتنحي، ويقال: أغربته وغربته إذ أنيحاته"<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهرى (ت ٥٣٩٣ هـ) التغريب: "النفي عن البلد، وأيضاً غرب: بعد، وأغرب عنى ، أي تباعد"<sup>(٢)</sup>، وأشار ابن منظور إلى هذا المعنى بقوله: "الغربة والغرب والنوى والبعد، ويقال أغربته وغربته إذ أنيحاته وأبعدهاته، والتغريب النفي عن البلد، إذاً الغربة هي بعد والتنحي"<sup>(٣)</sup>.

وحملت الغربة معانٍ متعددة منها: الشعور بالانفراد، والتباهي، والوحشة، مثلما يطمح بمعاني الشوق والحنين إلى الوطن الأصلي فـ "الحنين إلى الأوطان ظاهرة إنسانية عامة في نفوس البشر، وأن كان حب الأوطان عند العرب أكثر وضوحاً؛ لأن الشعر سجل هذه الظاهرة، منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث"<sup>(٤)</sup>.

وعانى أكثر الشعراء من الغربة المكانية ، والتي لجأوا إليها بمحض أرادتهم، أو اضطراراً ؛ نتيجة حدث معين يضطرهم إلى هجرة وطنهم ، أو لأسباب سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية ، والشعراء في مغادرتهم أو طائفتهم كانوا يغادرونها على كره منهم ، ومن ثم يحسون بالانكسار والحزن ؛ لأنهم كانوا يغادرون أشياء كثيرة غير هذه الأشياء المادية التي كانت تحيط بهم"<sup>(٥)</sup>، وشاعرنا قد عانى ألم الغربة منذ ريعان شبابه فلم يستقر في مكان واحد، حيث كانت تونس مهد طفولته ، ثم انتقل إلى مصر، وبعدها نفي إلى عين شمس ، ثم الرملة بفلسطين ، وأخيراً رجع إلى مصر، فهذه المحطات المكانية كان لها أثراً في نفس

(١) تهذيب اللغة: (غرب).

(٢) تاج اللغة: (غرب).

(٣) لسان العرب: (غرب).

(٤) الحنين والغربة في الشعر العربي: ٥.

(٥) الغربة المكانية في الشعر العربي ، (بحث) ، عبده بدوي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج ١٥ ، ع ١ ، ١٩٨٤: ١٨٤.

### **المبحث الثالث: موقف الشاعر من المكان**

الشاعر، فأولى تلك المحطات كانت عندما أوفده والده المعز من المغرب مهد نشأته وطفولته إلى المنصورية فكتب إليه.

دهانٰي بـ لـ دك الخط بـ الجـ لـ  
 فـ لا حـسـنـ لـ دـي ولا  
 جـميـ لـ

إلا أـرى لـ فـ أـروحـ  
 ومن لـ ثـقـيـ  
 أيضاـ عـنـ دـةـ آـنـ  
 (1) لـ ثـقـيـ

وكتب إلى أهله من الرملة يقول: (الخفيف)

أَنْتُ مُمْهُمْ فِي الْمَتَامِ حَلْمِي  
وَأَنْتَ مُمْهُمْ فِي اِنْتِبَاهِي  
سُؤْلِي وَأَنْتَ مُمْهُمْ رَادِي  
كُلُّ عَضْوٍ مَنْتَي إِلَيْكُمْ مَشْوَقٌ  
زَائِدٌ تَوْقِيْدٌ عَلَيْهِ  
الإِبْرَاعُ اِدَادٌ  
لَمْ أَفْرَجْتُمْ وَلَكُنْنَّمْ سَارِقَةً  
جَسْمِيْكَانْ عَنْهُمْ وَحَلَّ  
فِيكَ فَوَادِيْكَ وَأَوْدَى

(١) ديوان تميم بن المعز ل الدين الله الفاطمي : ٣٢٣ .

فـ هـنـيـأـ لـكـ بـكـاـيـ  
 عـلـيـكـ مـ وـهـنـيـأـ لـعـيـنـ  
 طـ وـلـ السـئـهـ دـادـ  
 كـلـمـ إـلـيـكـ قـاتـ لـبـيـكـ أـنـتـ  
 نـعـمـ المـنـادـيـ (١)

تميم من الشعراء الذين تحدثوا عن هذا النوع من الغربة؛ لكونه أجبر على ترك وطنه، وحيثما "يُجبر المرء على ترك ما يحب فلا بد من أن يكون حنينه وألمه نابعاً من تجربة إنسانية صادقة"<sup>(٢)</sup>، والنص الشعري هذا يعبر عن حالة شعورية مفعمة بحرارة الغربية والابتعاد عن الأهل والوطن ، ونرى أنه تعمد تكرار (أنتم) ليعبر عن مشاعره الذاتية ، وما يكمن من الحزن والألم والشوق لفراق وطنه وأهله وأحبابه ، وهو يعاني من حالة قلق واضطراب من جراء الغربية في مكان لا يجد فيه استقرار روحه، ويعكس فيها اشتياقه إليهم ، ورغبته في لقائهم ، فكل عضو في جسمه تائق إليهم، وراغب في مودتهم وصفائهم .

وعاش تميم بن المعز في بيت الملك، وفي ظلال الترف والنعيم، وشاهد ما لم يشاهده غيره من ألوان الحياة في القاهرة ، وهي تموج بألوان النعيم واللهو والازدهار فهي قد "ضربت الرقم القياسي بالملاحة والسحر والذوق والجمال"<sup>(٣)</sup>، فعندما نفي عانيا من ألم الفراق والبعد والغربة والشوق إلى القاهرة وما كان ينعم به وهو في مصر ، وبقي يحن ويتوّق إلى ذلك الرخاء وأخذ يعبر عن ذلك بقصائد شعرية، حين كتب إلى أهله في مصر من الرملة قائلاً :

(البسيط)

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ١٢٨.

(٢) الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره ،(رسالة ماجستير)، روضة بنت بلال ، جامعة أم القرى ، ٢٠٠٧ : ١٣٧ .

(٣) تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال: ٦.

صورة معبرة عن مدى الأسى الذي لحق بالشاعر جراء البعد تجعلنا ندرك  
مدى حبه لوطنه، وشوقه إليه ، فهو بذلك ينقل إحساسه باللوعة إلى نفوسنا،  
فالمكان هنا أثقل كاهل الشاعر ، وظل يحن إلى بلاده ، وناسه الذين فارقهم على  
مضض ، وقد تعلق قلبه بوصالهم ، ورغب في وصلهم.

وهكذا كان شاعرنا في غربة دائمة وفي سوق هائج لوطنه، طالما هو بعيد عنه ، وشعره في مجلمه تتكرر فيه المواقف والتداعيات، والمفردات، والصور فأغلبه يعبر عن الشكوى والآنين والانكسار؛ لأن الشاعر في الغربة يكون مشتعلًا عاطفياً<sup>(٢)</sup>، وهذا ما أحسسناه لدى شاعرنا حيث كانت العاطفة عنده تغلب عقله، لذلك جاء شعره تعبيراً عن خلجم قلبه وعاطفته، ومما لاحظناه أن قصائد

(١) ديوان تميم بن المعز ل الدين الله الفاطمي: ١٠٠.

<sup>(٢)</sup> ينظر: الغربية المكانية في الشعر العربي، (بحث): ٥.

العبرة عن غربته ليست طويلة لأنها مجرد نفثات للمستطار، أو مجرد وصف للذين يعيشون تجاربهم من الخارج .

### بـ: الاغتراب

الاغتراب هو شعور بالغربة وعدم مقدرة التواصل مع الآخرين ، وهو نفسي يتولد من احساس الفرد انه غريب في بيته ، ووطنه ، ومجتمعه ، بل في نفسه ايضاً، وهذا ما أشار إليه أبو حيان التوحيدي(ت٤٠٠هـ) ، وفي روايات اخرى(ت٤٠٣هـ) حينما قال: "أغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه"<sup>(١)</sup> ، وقال ابن منظور: "الاغتراب افتعال من الغرب، ورجل غريب ليس من القوم"<sup>(٢)</sup> ، فالاغتراب لا يعني مفارقة الوطن، بقدر ما هو الشعور بالغربة في الوطن الذي يعيش فيه الإنسان، ويعد أشد قسوة من الغربة؛ لكونه يحدث بين الأهل والأحبة ، ويكون ذا تأثير نفسي<sup>(٣)</sup>.

ومفهوم الاغتراب قديم قدم الإنسان، متتجذر في مواقفه من الذات ، والكون والحياة ، والمجتمع، وهو قديم في الأدب العربي " فمنذ أن تكونت المجتمعات الأولى نشأت معها، وفي ظلها الأزمات ؛ التي كانت تتمحض بشكل أو بأخر عن أنواع من الاغتراب عانى منها ، الفرد وواجهها على وفق حجم طاقاته العادية والروحية، فقد تقوده إلى التمرد والعصيان، مثلما قد تقضي به إلى الاستسلام ، والانزوال ، والانكفاء على الذات"<sup>(٤)</sup>، وقد تجلى ذلك "في صميم المعاناة الذاتية ومفارقتها للجوهر الطبيعي...، وهذا يعني أن الاغتراب ظاهرة نفسية وفكرية ذاتية ثم غدت ظاهرة اجتماعية ثقافية اقتصادية تستند إلى التناقض بين الذات ، والآخر ، والطبيعة ، والنشاط ، والعمل ، والزمان ، والمكان ...، ما جعلها ظاهرة

(١) الإشارات الإلهية: ٨١.

(٢) لسان العرب: (غرب).

(٣) ينظر: الاغتراب،(بحث)، د.نوري حمودي القيسي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج ١٠، ع١، ١٩٧٩، ١٤٠-١٣.

(٤) الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري: ٨٩.

مركبة ومعقدة تعبّر عن الانسلاخ، والاستلاب، وضعف القدرة على التكيف تارة ، وتعبر عن الغرابة ، والتفرد والتميز ، والاختلاف تارة أخرى<sup>(١)</sup>.

إن الأسباب التي تدعو النفس الإنسانية إلى الشعور بالاغتراب متعددة منها سياسية، ومنها اجتماعية، وبعضها اقتصادية، بيد أن أكثرها تأثيراً ما تكون له أسباب شخصية، ترتبط بنفس الإنسان، وتتحكم في علاقاته بمجتمعه، وشاعرنا تعرض لحالات اجتماعية جعلته في حالي قلق دائم ، وخوف مستمر، فمن هذه الأسباب علاقته بوالده الذي أبعده عن دائرة الخلافة، مما زاد في حرجه، وينطوي صدره على آلامه لا يجد ما يفرجها أو يخفف منها يضاف إلى ذلك اتهامه بالخيانة لأبيه وأخيه بسبب صلته ببني عمومته، ونظرة المجتمع إليه بأنه لا يصلح لتولي الخلافة بسبب سلوكه وما عرف من حبه للهو والمجون<sup>(٢)</sup> ، فهذه الأسباب كلها جعلت الشاعر يعاني من غربة ذاتية وهو في وطنه وبين أهله، فعكس ذلك في شعره ، ليكون مرآة لتلك الشخصية القلقة ، والمضطربة ، فـ "القصيدة مكان الذات الذي تتجسد من خلاله رؤاها ومعاناتها وأحساسها في علاقاتها بالكون والكائنات"<sup>(٣)</sup>.

يؤدي الشعور بالاغتراب-أحيانا- إلى الإحساس بالوحدة وقلة التفاعل مع الآخرين، والعزلة النفسية ، والغربة المكانية ، وهذه الرؤية عند شاعرنا تعكس في شعره حين قال:

(الطوبل)

سأطلب حقي إن قضى الله لبي به وافتتح منه  
كل مَا كـان مـُرـتجـا

(١) الاغتراب في حياة المعرفي وأدبها، (بحث)، د. حسين جمعة ، مجلة جامعة دمشق، مج ٢٧ ، ع ١١٤ ، ٢٠٠.

(٢) ينظر: الحلقة السيراء ١: ٢٩٦ ، وسيرة الأستاذ جوزر، ٦٤ ، ١٢٠ ، ٢٩٦ .

(٣) المكان والجسد والقصيدة المواجهة وتجليات الذات: ٤٣.

فَلَسْتُ وَانْعَاقَتْ كَأْسِي بِسَالَكِ مِنْ  
الْأَمْرِ فِيهَا كُلُّ مَا كَانَ اسْمَجَّا  
وَلَا مُشْتَرِّبٌ بِالْمَجْدِ مُسْتَحْسِنُ الصَّرَّا  
طَرْقُ الْمَهَالِكَ بِالْنَّاجَّا  
وَكَذَنْيٍ مَسْوِفٍ لِنَفْسِي حَقْوَةٌ  
وَرَائِضُهَا وَى  
فِيمَا اسْتَوْى  
(١) وَتَعْوِيْجَ

فاضت المقطوعة الشعرية وغصت بالضيق والعزلة النفسية التي يشعر بها جراء حقه المنزع منه ، فما كان يخفيه في نفسه لم يستطع كتمانه ، بل كان يتسرّب وعيًا منه أو غضباً، والانفعال الداخلي للشاعر كان استجابة لواقعه من مواقف تجعل ذاته تتخلّى إلى إضاءة تعبّر عن غربتها بين وطنها وأهلها ، فاتخذ تميم من ذاته مكاناً أشغاله بمشاعره الشخصية ، وحالته النفسية ، ليحوله إلى مكانٍ جديدٍ يلتجأ إليه أي ينطلق ذلك الانفعال من مكانه الذاتي الداخلي إلى مكان خارجي تسكنه النفاثات الشعرية التي تطلقها الذات المغتربة.

تستمر الذات الشاعرة ناطقة بما يجول في خاطرها من الشعور . بالوحدة والغربة التي يحياها ففي أثناء طريقه إلى الرملة ، أخذ يعزي نفسه ، ويشير إلى ذلك العزاء بقوله مسحلاً أحداث ما بين الأخوين :

(الوافر)

(١) ديوان تميم بن المعز ل الدين الفاطمي: ٣٥.

رَضِيَتْ بِكَ مُسَابِقَةَ الْقَضَاءِ  
وَانْضَمَتْ تَكْدِيرًا صَفَرَ وَأَنْجَادَ  
وَهَلْ يُسْطِيعُ أَهْلُ الْأَرْضِ حَلَّاً لِعَذَابِ  
شُوقَنَ فَمَنْ فَوْقَهُ السَّمَاءُ  
إِلَى كَمْ تَهْدِمُ الْإِحْدَادَ رَكْنَيِ  
وَرْمِينَ بِجَرِيَّةِ دَاعِيَةِ  
يُعَاقِبُنِي بِغَيْرِ زَمَانٍ  
ذَذِبَّ يَدِي وَتَخَذَّلَ بِي يَدِي وَذُوو  
اصْطَفَانِي بِأَنْيَ  
وَيَسْعَى بِي لَمَنْ لَوْ جَاءَ سَاعَ  
بِلْخَضَّةِ بَهْ  
بِالْأَدَمِ  
حِيَاتِي بِيَنْ وَاشِي أَوْ حَسَنَةِ  
وَسَرْسَرِي بِيَاعِ  
بِطْولِ دَائِرِي  
فَلَأَنْ وَشَئِي عَلَى الزُّورِ بِسَاعِ  
فَصَبَرَ ادِيرَ  
وَالْقَضَاءِ

فَة د طِبَّت عِيشَى فِي سِرْرَوْرِ  
وَقَدْ أَنْعَمَت بِاللَّيْلِي فِي  
رَخْصَاءِ  
وَعِيشِي زَائِدَ طِبَّا إِذَا  
لَيْكَ ذَرَّة لَدِيْكَ  
بَنَزَّ وَالْأَعْيَاءِ<sup>(١)</sup>

إن المكان الذي مر به وهو في مسيره إلى الرملة هيج في داخله شعوراً بالغربة النفسية التي زادت آلامه ، وحزنه ، ويلقي لومه على الزمان ، وفعله، وظروفه ، وسعى الوشاة والحسدين الذين أوقدوا الغل في الصدور . لقد شكى الشاعر ما حل به من قلب مزقته المعاناة والإحساس بالقلق وعدم الاستقرار يدفعه للرضا بما قسم الله له ، مؤمن بالقضاء والقدر ، فـ "الاغتراب شعور ينتاب الفرد فيجعله غير قادر على تغيير الوضع الاجتماعي الذي يتفاعل معه"<sup>(٢)</sup>، ولذلك كان شاعرنا مؤمنا بقدر و هو يحس بأن الزمان يتعقبه ، وهو في وطنه وما يعيش فيه من نعمة ظاهرة ، إلا انه يعاني من القلق والعزلة ، لأنها نعمة حس ، تخفي شقاء للروح، وعذاباً للنفس .

يلجأ شاعرنا إلى أماكن اللهو والخمر وأماكن الراحة ليتخلص من غربته كما يقول:(سأدفع بالراحة جيش الهموم)، ليتخلص من ثقل همومه التي أهلكته ويبعد عن المجتمع وناسه عبر اللهو مع الغانبيات ، ويرجع مرة أخرى يشعر بالاغتراب عندما يشكو حاله إلى الله ، ولهذا كثيراً ما نجده يقصد الأديرة ، وأماكن اللهو ، والمتزهات ليخفف من وطأة غربته الذاتية ، ويشكو همومه ومشاكله .

ويعاني الشاعر برحيل أحبابه غربة نفسية ؛ جعلته يتأمل في تلك القافلة التي أخذت محبوبته بعيدا عنه اذ قال:

(الطوبل)

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ٢٨.

(٢) البطل المغترب في الرواية العراقية،(بحث) ، د. صبرى مسلم ، مجلة الأفلام ، ع ٩، ١٩٨٨ : ١١٣ .

ولما أثروا البُزَلَ وَهُنَّا وأشَمَّا  
وَحَتَّى بِأَقْمَارِ الْهَوَادِي (١)  
وَحَالَ الْأَسْرَى دُونَ الْبَكَاءِ فَدْمُوعَةٌ مِنَ الْبَيْنِ  
حَسَرَى وَالْتَّائِفَ بِالْهَوَادِي  
فَلَمْ تِعِصِّ صِرْطَانَ الْمَدَامَ عَمَّا مُقْلَتَى وَلَمْ  
يَتَحَصَّنْ بِالْضَّلَّالِ وَادِي (٢)

لقد عانى الشاعر معاناة حقيقة عندما وقع تحت تأثير رحيل الأحبة وفراق الوطن، فلم يستطع أن يغالب شعوره، فانقاد لسلطان المدام(البكاء) الذي جعل قلبه خارج أسوار ضlosure.

وفي المحصلة النهائية وما ظفرنا به من نصوص شعرية حملت سمات الغربة والاغتراب، وشكلت مناحي مختلفة عند شاعرنا، يمكن القول: إن المكان كان له الأثر الفاعل في إظهار تلك السمات، وتشكيل مناحيها، فالمكان هو المحور الأساسي الذي يكشف لنا عن مشاعر إنسانية مغتربة ، فقدانا المكان لمعرفة مشاعر الشاعر المغترب تجاه عنته وأحداث عصره وأخلاقه.

(١) البُزَل، يقال للبعير إذا استكملاً السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطرنا به، فهو حين إذ بازل ، وكذلك الأُنْثى،اللسان(بُزَل) .الوهن، نحو من نصف، وقيل :هو حين يدب الليل ، وأوْهَنَ الرجل صار في ذلك الوقت اللسان (وهن) .اشاموا.قيل: في صفة الإبل لا يأتي خيرها إلا من جانبها الأشام.يعني الشمال، لأنها ترکب من الجانب اليسير ،اللسان (شام).

(٢) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ١٣٧.

## ثانياً | الألفة والمعاداة

تعددت الأماكن في ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، فهناك أماكن مرغوبة أليفة ، وهناك أماكن مرفوضة تحمل سمة عدائية ، فكما أن البيئة تلخص الإنسان ، أو تحتويه فان الإنسان - طبقاً لحاجاته - ينبع في بعض الأماكن، ويدخل في أخرى ، وقد تكون الأماكن نفسها جاذبة مرة وطاردة مرة أخرى ، وقد تكون الأماكن عدائية مرفوضة ؛ لأنها صعبة الولوج ، أو قد تكون مطلوبة ؛ لأنها تمثل الملجاً والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيداً عن صخب الحياة<sup>(١)</sup>.

وعلى وفق ذلك قسمنا تلك الأماكن إلى أماكن أليفة ، وأماكن معادية :

### أ: المكان الأليف

---

(١) ينظر : مشكلة المكان الفني ، (بحث) ، ضمن كتاب جماليات المكان : ٦٠ .

هو المكان الذي يستطيع أن يكون فيه الفرد جزءاً من العملية الاجتماعية التي يرتبط بها ، ويشعر فيه بالدفء والحماية ، ويترك بصماته بشكل واضح على ذاته<sup>(١)</sup>، فهو مكان تؤنسه الإنسانية ، وتدعو نفسه فيه إلى الطمأنينة والارتياح ، كما أنه "المكان المحب الذي يشحن الذاكرة ، بشتى الصور الباعثة على الحياة الإنسانية الدافئة"<sup>(٢)</sup>، والمكان الأليف هو ملتقى الأحبة فيه الألفة ، والعاطفة ، والحنان ، والجمال ، وهذا المكان قد يكون منزلاً ، أو مدينة ، أو روضاً ، أو بستانًا...، وكل ما له أثر في نفس الإنسان؛ لأنه "يترك أثراً لا يمحى في ساكنه"<sup>(٣)</sup>.

وللشاعر موافق من ألمة المكان ، تجعله بحالة من التجاذب بين النفس والظاهر المكانية ، وهذا التجاذب يصل إلى درجة من الاتحاد النفسي فيجعل المكان قريناً معادلاً ، أو تجسيداً من تجسيداته أو قناعاً من أقنعتها<sup>(٤)</sup>، وبخاصة إذا كان "المكان هو موطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض الأم"<sup>(٥)</sup>، وقد يهرب الشاعر إلى مكان يألفه يشعره بالراحة والاستقرار؛ ليبتعد عن الواقع والعالم الإيهامية إلى واقع أكثر حيوية يمكن فيه أن يحيا بهدوء واستقرار.

وعند استقرائنا لديوان تميم بن المعز وجدنا أن المكان الأليف يتمثل بالمدينة، والرياض، والبساتين ، وأماكن اللهو ، والقبر، فالمدينة حيز مكاني لها حدود هندسية، ولها دلالات رمزية واسعة ومتعددة ، فعبر التوظيف الرمزي الفاعل لها ، تعد المدينة نموذجاً للمكان الأليف المفتوح ، فضلاً عن كونها ظاهرة حضارية

(١) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ٢٥١ .

(٢) المكان في الشعر العربي قبل الإسلام ، (رسالة ماجستير): ١٢٥ .

(٣) البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ٢٥٩ .

(٤) ينظر: المكان ودلائله في شعر السباب ، (رسالة ماجستير): ١٧ .

(٥) جماليات المكان،(بحث) ، اعتدال عثمان: ٧٧ .

؛ مكانية واجتماعية أفرزت أنماطاً متعددة للحياة الحضرية ، فهي مرتبطة ارتباطاً جديلاً بالبيئة والإنسان .

وبرزت المدينة في شعر تميم بأبهى صورة ، فهو ابن المدينة الذي عاش فيها، ورسم ملامحها في أروع اللوحات الفنية ؛ التي تجسد العلاقة القائمة بين الشاعر والمكان وهي علاقة روحية نابعة من أعماقه الذائبة في وصف مدينته ولا سيما انه عاش في مصر حياة لهو وترف ، فهي أكثر الأماكن التي ألفها، وشعر بالأمن والطمأنينة فيها، قال:

(المنسرح)

لِي هُنْ مَصْرُ الْغَ لَا وَمَا جَ مَعْت  
بِهِ مِنْ الْمَكْرُمَاتِ  
وَالْزَيْنَ نِ  
فَاضْ نَدِي بَهْ رَجَ وَد  
رَاحَتِهِ وَبَهْ حَرَهَا  
فَهِي بَهْ بَيْنَ بَهْ رِي نِ  
لَوْ طَاوَتْ أَرْضَ هَا النَّجَ وَمْ عَلَتْ  
بِهِ عَلَى الْنَّسَرِ  
وَالسِّمَاكِيْنِ<sup>(١)</sup>

فجاءت هذه الأبيات بعاطفة صادقة تتمّ عمّا انعكس في نفسية الشاعر تجاه مصر حين وصفها بأنها رمز "للعلا والكرم ، وجعلها بمنزلة النجوم ؛ رفعه ومنزلة، مما

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٤٠٩.

زاد في دافعية تلك الألفة التي تدل على ارتفاع قيمة ذلك المكان ، وإن الإحساس بـألفة المكان نابع من الذات ومدى تقبلها للمكان أولاً وأخيراً، وفي العملية الإبداعية ينعكس ذلك الإحساس على النص والدلالات المسرحية داخلة، فنستشعر بألفة المكان من اللغة والصور ومدى تجانسها في إظهار صورة تشع بالألفة <sup>(١)</sup>.

إن ألفة المكان وقربه من نفس الشاعر يأتي عادة من ساكني ذلك المكان ، وهذا واضح في الأبيات الشعرية فمصر امتلكت ألفة بساكنيها عندما كانت بلاداً مرهاء أي خالية من الأمن والألفة بوجود كافور الإخشidi فيها<sup>(٢)</sup> ، إذ عانت مصر في أواخر حكمه أوضاعاً اقتصادية صعبة تمثلت ببعض الغلاء ، واضطراب الأسعار ، مع هبوط قيمة الخراج ، فضاق المصريون بالأوضاع ، فكتبوا إلى المعز لدين الله بأفريقيا يدعونه إلى إرسال جنوده ليسلموا مصر ؛ سبب هذه الدعوة ما عرف عن الفاطميين بثرائهم<sup>(٣)</sup> ، وبمجيء المعز لدين الله الفاطمي لمصر ، شهدت تغيرات سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، جعلتها من أكثر الأماكن قوة وعزّة وعظمة ، فدلالة المدينة في هذا النص قد تباينت ما بين دلالة معادية غير اليفة في عهد الإخشidi ودلالة ألفة بوجود المعز ، والخلفاء من بعده .

واحتلت مسميات مدن عربية إسلامية مكانها الرحيب في شعر تميم وقد تناولها في منازل شتى ، منها ما يكتسب خاصية دينية ، ومنها ما يعطي امتيازاً خاصاً بالأشياء التي بها ، فكانت مكة من الأماكن التي امتلكت القدسية ، فقال:

<sup>(١)</sup> المكان في شعر الارجاني ،(رسالة ماجستير) ،دعاة علي عبد الحسين الساعدي ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٣ : ٥٢.

(٢) كافور الإخشيدي: أبو المسك كافور الإخشيدي كان من رفيق الجبعة وأصبح أحد حكام الدولة الإخشيدية في مصر وسوريا، وكان الحاكم الفعلي لمصر ٣٢٢هـ، وأصبح كافور واليا على مصر ، وهو صاحب الفضل في بقاء الدولة الإخشيدية في مصر ، ينظر: وفيات الاعيان ١٦٧١، والإعلام ٢/٣٤٥.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان: ١/٣٤٧، واغاثة الأمة بكشف الغمة: ١٣.

(الطوبل)

دعا بـاسـمـك الـداعـي بـمـكـة مـعـنـا فـطـاب  
لـأـهـل الـموـسـم الـحـجـ وـالـنـفـرـ  
وـحـنـت إـلـيـك الـمـرـوـتـانـ وـزـمـ  
وـثـبـوـب تـصـرـيـحا بـكـ الـرـكـنـ وـالـحـجـ  
مـسـارـح آـيـاتـ الـقـرـآنـ  
وـأـبـرـعـ بـهـاـظـ هـرـ  
الـإـيمـانـ وـانـدـمـعـ الـكـفـرـ  
وـارـضـ غـدـالـلـوـحـيـ بـيـنـ عـرـاصـهاـ  
جـالـ وـلـلـإـسـلامـ فـيـ أـهـلـ هـاـنـصـرـ  
وـأـنـ تـبـهاـ يـابـنـ النـبـيـ  
جـعـقـ إـذـ ماـ بـانـتـ الـحـجـ  
الـزـهـرـ (١)

تحمل الأماكن القدسية شعور الألفة ، والاطمئنان ، والإيمان داخلها للمتلقين ولمن يزورها ، وقام تميم بتوظيفها في قصيدة المدح التي امتدح بها أخاه العزيز بالله أيام الحج ، وأراد من ذلك موازنته مع قيمة المكان المقدس (مكة- المروتان- زرمزم) ، وأضاف قيمة ذات دلالات متنوعة كان من شأنها المبالغة في إظهار صورة الممدوح التي استمدتها من القيمة الدينية والتاريخية التي تميز بها المكان المقدس وأضافها إلى الممدوح فـ "حضور المكان المقدس داخل النصوص له

<sup>(١)</sup> ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ١٦١.

أهمية عظيمة في التكوينات الصورية للنص نفسه ولها حسب وجودها دلالات كثيرة ومنها الألفة فالمكان المقدس بنحو عام والكعبة بنحو خاص تبعث الاطمئنان بالألفة والراحة النفسية داخل النص<sup>(١)</sup>.

ولقد تبادرت دلالة المكان الأليف من شاهد إلى آخر، فمنها ما حملت دلالتين ألفة ومعاداة وهذا ما نلحظه في قوله :

يقول: (الطوبل)

ثَمَّ وَتْ لِي أَسْلَافُ كَرَام  
بَكْرٌ لَا هُمْ لِثَغَور  
الْمُسْلِمُ يَنْ سِدَاد  
أَصْبَابُهُمْ مَنْ عَبْدُ شَمْسِ عَدَوَة  
وَعَاجَلُهُمْ بِالنَّاكِثِين  
حَصَاد  
فَكِيفَ يَلْذُ الْعِيْشُ عَفَوا وَقَدْ سَطَّ  
وَجَارَ عَلَى آلِ النَّبِيِّ زِيد  
اد  
...

فَكِمْ كُربَلَةٍ فِي كَرْبَلَاء  
شَدِيدَةٍ دَهَاهَ مَبْهَا  
لِلنَّاكِثِينَ كَيْدَاد<sup>(١)</sup>

(١) المكان في شعر الراجني (رسالة ماجستير) : ٦٥.

يعمل المكان (كربلاء) دلالة المكان (الأليف-المعادي) في آن واحد في هذه المقطوعة الشعرية ، فكربلاء مكان ديني تاريخي اكتسب قيمة مقدسة بوجود قبر الحسين بن علي(عليه السلام)، فاكتسبت الألفة ، كما أنها مكان يبعث الشجون على ما حدث فيه في تلك الواقعة الأليمة التي ذهبت بكثير من آل البيت (عليهم السلام)، فحملت صفات المكان غير الأليف والشاعر في رثائه أهل البيت (عليهم السلام) عبر عن مشاعر نفس حزينة منكسرة وصورة عاكسة لآلامه ونوازع نفسه .

إن الذات الشاعرية تتجه إلى الأماكن المغلقة / الضيقـة حينـما تعـاني من ازـمة نـفـسـية وـمعـانـة حـقـيقـية تـجـعـلـ منـ الذـاتـ هيـكـلاـ حـزـينـاـ تـتـجـهـ نحوـ هـذـهـ الأـمـاـكـنـ الضـيقـةـ تـعـبـيرـاـ عـنـ زـجـرـهاـ لـلـحـيـاـ ،ـ وـنـلـحـظـ ذـلـكـ فـيـ دـيـوـانـ تـمـيمـ حـينـ يـصـفـ القرـافـةـ<sup>(٢)</sup> ،ـ وـيـتـضـرـعـ إـلـىـ اللهـ قـائـلاـ:

(المتقارب)

إذا كـيـاـ نـتـ مـصـ طـ فـ يـأـ  
مـ ربـةـ خـصـ فـ اـ قـرـافـةـ  
بـ اـ لـاصـ طـ ظـاءـ

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ١١٨.

(٢) القرافة، المقبرة وهم قرافتان: الصغرى بظاهر مصر، والكبرى بظاهر القاهرة، وسميت كذلك نسبة إلىبني قرافاة، وهم فخذ من المعافر بن يعفر، نزلوا هذين الموضعين، ثم تركاهما ليكونا مقبرة للمسلمين، وفيات الأعيان: ٣١٨.

مـ زـ اـ لـ مـ عـ مـ وـ رـ ةـ  
بـ سـ الـ عـ فـ  
مـ خـ صـ سـ ةـ بـ الـ تـ قـ يـ وـ الـ بـ هـ ءـ  
كـ أـ نـ الـ عـ بـ يـ رـ لـ هـ اـ  
تـ رـ بـ رـ بـ لـ ةـ  
تـ ضـ وـ عـ فـ يـ صـ بـ حـ اـ  
وـ الـ مـ سـ ءـ  
وـ يـ حـ يـ النـ فـ وـ سـ  
بـ أـ رـ جـ اـئـ هـ هـ نـ  
رـ قـ يـ النـ سـ يـ مـ وـ طـ يـ بـ  
الـ هـ وـ اـ  
دـ يـ دـ اـ دـ يـ رـ بـ هـ نـ  
الـ نـ عـ يـ  
غـ فـ نـيـ مـ وـ مـ  
كـ مـ اـ تـ ذـ رـ جـ عـ الغـ اـءـ  
تـ زـ يـ دـ الشـ هـ وـ سـ بـ هـ اـ  
بـ هـ جـ لـةـ وـ تـ حـ سـ فـ يـ  
مـ قـ اـةـ كـ لـ رـ اـءـ (١)

تعد المقبرة مكان لا نشعر فيه بالأمن والراحة؛ لكونه يهيج بداخلنا ذكريات الأهل والأحبة ممن فقدناهم؛ ولكن في هذا النص نلمس تحولاً في دلالة المكان، فالمقبرة مكان عدائي يتحول إلى مكان أليف لتنفيس الهموم فهي لا تبعث البهجة أو

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ٢٧.

الفرح في النفوس بل البكاء فيها يخفف من وطأة الهموم ، لذا فهي عند الشاعر  
مكان يشعر بالراحة فيه ؛ ولأنه يضم الأحبة من فقدتهم، فهو يصف لنا ذلك  
المكان بأن منازله معمورة بأهلها من الأموات، ومخصوصة بأهل التقى والبهاء ،  
وكانه يتمنى السكن فيه ليبتعد من واقع حالة نفسية صعبة يمر بها الشاعر تجعل  
المتلقى يشعر بأن شاعرنا يمر بحالة من الاغتراب في الحياة و يشغل بوصفها،  
فقد كان تميم يعرف تاريخ المدينة وحاضرها جيدا، ولهذا بلغت سطوة(القرافة) حدا  
من التجذر العميق في اللاوعي جعلها تستعاد بمجرد ذكرها أكثر مما تستعاد من  
خلال الوصف الدقيق لها ، فالقبر "يضيق أو يتسع بحسب اللحظة النفسية"<sup>(١)</sup>.

وأخيرا إن المكان الأليف يعد صورة نفسية تعكس الألفة والولاء لذلك المكان الذي  
يتأثر به الشاعر ومن ثم فهو يمثل أحداثاً وأحاديث يقصها علينا جراء تلك النفسية  
القلقة .

### ب: المكان المعادي

هو ذلك المكان الذي ينعدم فيه الإحساس بالأمان والراحة والطمأنينة، فهو المكان  
الذي يحاصر الإنسان بأبعاده المدركة والمتوقعة، فيتحول الإنسان فيه إلى وجود  
سلبي ساكن ويتراكم خلاله شعوره بالعدمية وعدم التفاعل"<sup>(٢)</sup> .

ويكتسب المكان المعادي (غير المألوف) سمات العداء عبر التجارب المؤلمة التي  
يشعر الإنسان فيها بالمعاناة، وتكون هذه الأماكن عندما يكون الإنسان مجبراً على  
الإقامة فيها لظروف سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، تترجم عبرها معاناة الإنسان

(١) تحولات النص في أدب الثمانينات قراءة أولى في جمالية الرواية المصرية (بحث)، اعتدال عثمان، مجلة أqlam، ٦، ١٩٨٩، ٤٠.

(٢) دلالات المكان الشعري دراسة في شعر حسب شيخ جعفر - ، (رسالة ماجستير) ، ناجي عباس مطر  
الركابي ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ : ١٤.

وما يعانيه من عدم الاستقرار وفقدانه للأمن ، والشعور بالخوف ، والقلق الدائم فيؤدي هذا إلى مشكلة نفسية تراقبه مدة اقامته فيه.

إن الإحساس بعدم ألفة المكان تتباين من شخص إلى آخر فقد تكون ألفة عند شخص معين ، وقد تكون موحشة لدى شخص آخر؛ إذ إن الألفة لا تتم "بين الإنسان والمكان المجرد، بل تترجم هذه الألفة عن البشر الذين يقطنون المكان ، حتى إذا ما خلا هذا المكان منهم ، فقد ألغته، بل أصبح هذا المكان معادياً لا أليفاً"(١).

وترتبط سعادة الإنسان بالمكان المفعم بالحياة المنتشرة فيه ، وعندما يتعرض الإنسان إلى التفوي والتهجير فيكون موقف الإنسان من المكان مستنكراً رافضاً له سرعان ما يريد الهروب منه ، وهذا ما يعمل عليه الشاعر حينما يمر بمثل تلك المواقف على وصف ذلك الشعور عبر صورة شعرية يحول المكان فيها إلى رمز وقناع لحالات الشكوى والعذاب التي يختفي وراء النص ليتسرب إلى الآخرين فيبيث شكاوه وعداه(٢).

والمدينة بوصفها حيزاً مكانياً هو حاضر الشاعر، يتطبع بطابعه ، ويتلون شعره بألوانه ، لذلك فهو يعكس مدى الشعور الذي يشعر به الشاعر تجاه مدينته(٣)، ويرجع سبب عدم الفة المدينة إلى أن "المدينة على اختلاف عصورها و هيئاتها و انتماطها الحضاري مكاناً غير مرغوب به لدى الشعراء غالباً، إذ تبدو على الرغم من سعتها كالسجن المطبق حول ذواتهم ، أو المنفى الذي لا فرار منه ، ولعل ذلك عائد إلى سمة المدينة بوصفها مكاناً محشداً للذوات والقطعات المتنافسة

(١) البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ١٠٢.

(٢) ينظر : جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور ، (بحث) ، ضمن كتاب جماليات المكان : ٢٣ .

(٣) ينظر : دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر: ٢٦٢.

على البقاء<sup>(١)</sup> ، ويدرك الشاعر المدن التي عاش فيها وحملت معاني الرفض والعداء ، فيصفها بقوله :

(الخفيف)

عِيْن شَمْسُ لَا عَيْنَةَ كَشَمْسَ  
مَنْزِلَ مَقْفَرَ رَوْبَرْ  
دَرِيرَ سَ  
  
يَرْجِعُ الْطَّرْفُ خَاسِئًا  
وَحْسِيْرَ رَا وَنَقَاصَ كَرْبَوْبَ  
فِي وَسَهَ النَّفَوسَ  
  
عَسْكَرَتْ فِي لِلْأَفَاءِ يِي جِيْ  
وَثَبَرْ ذَوَى لَلْأَبَابِ  
فِي هَخَمَ يِيسَ  
  
فَهُوَ عَارٌ إِلَّا مِنَ الشَّوْفِيْمِ وَالشَّوْفِيْمِ  
رَفَلَ أَرْضَهَ  
(التقدير)<sup>(٢)</sup>

يبدو شاعرنا لا تروقه (عين شمس)<sup>(٣)</sup> ، في هذه الأبيات وهو المكان الذي انتقل إليه قبل أن ينتقل إلى الرملة ، ولأجل أن يبين شعوره لهذا المكان أضاف عليه

(١) انتاج المكان : ٨١ .

(٢) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ٢٥٢ .

(٣) عين شمس: من أقدم مدن مصر وتقع في شرق مصر : ينظر : معجم البلدان : ١٧٨/٤ .

أقبح الأوصاف حين جعل منازلها مقفرة خالية من كل أثر تمحوه الرياح، وينحصر بصر كل من نظر إليها، وحملت نفسه الهموم وهو اقتباس من قوله تعالى: "ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ" <sup>(١)</sup>، ومن اللافت للانتباه أن شعر تميم يتناص مع القرآن الكريم وذلك عبر الاستمداد من معانيه ، والاقتباس من لفظه، والاستشهاد بنصوصه، بغية تحويلها أبعاداً رمزية ودلالية معينة، وللمكان أثر كبير على حياة الشاعر ، يهز الأعمق الإنسانية، وكان نتيجة ذلك انعكاسه على النص الشعري ، ولاسيما إذا كان المكان يحمل معنى الغربة وهذا ما وجدهناه في قوله:

(الخفيف)

ك يف أسلو والدمغ غ ير مفي  
والأسرى جان ل مك ان  
الر ق  
وسقاتي اجتماع سب سربا  
الب ر ك امة فقة د الصبا  
وفة د الرحيم ق  
باء دلة ناب لها الش دام  
ليكم حمال  
باء داد والت فري ق

(١) الملك : ٦٧ .

يَا زَمَانِي بِمِصْرِ بِاللَّهِ عَزَّ ذِلْكَ يَوْمٌ  
بِنِ رَأْسِ الْخَلِيلِ وَالْمَعْشَى

حِيثُ تَلَقَّى الصَّبَّا الرِّيَاضَ فَتَهَدَى

مِسْكٌ هَا فِي ذَرِي النَّسِيرِ مِنْ الرِّيقِ<sup>(١)</sup>

إن حالة الغربة وعدم الألفة التي يحس فيها الشاعر واضحة في النص الشعري ؛ إذ إن (الشام) مكان حمل معاني عدائية لما عانى فيه الشاعر من الم غربة ومعناها البعد والفارق ، وتحول المكان إلى وحشة بعد أنس وألفة بمصر وضاقت به نفسه وساعت حاليه، فأخذ يشكو همومنه التي تکبدتها في الشام ، ويشكو الدهر الذي ابده عن مصر.

وهناك من المدن تلك التي لم يزورها أو لم يعش الأحداث التي وقعت فيها، ولكنه وصفها وكأنه عاش فيها ، وشهد أحداثها ، فهو عاشرها خيالاً وفكراً، وعاشرها شرعاً كما يعيش في المنفى لذلك أستطاع وصفها ووصف ما حدث فيها، وعلى الرغم من أنه لم يعشها واقعاً ، لذلك حملت دلالة غير ألفة في شعر تميم ؛ إذ إن مجالات الشعر "هي كل شيء يتصل بحياة الإنسان أو الجماعة من قريب أو من بعيد"<sup>(٢)</sup> .

ويبقى الشاعر مطالب بمعرفة ما يحيط به؛ لأن موضوعات الشعر ذات صلة بكل جوانب الحياة ؛ إذ إن أهمية العمل الأدبي لا تتوقف عند حدود الأغراض الخاصة بالإنسان واهتماماته، بل تتجاوز لتشمل كل شيء يحيط بالإنسان عن

(١) ديوان تميم بن الموزع لدين الله الفاطمي: ٣٠٢

(٢) مفهوم الشعر: ٢٧٣

الطبيعة وأحداث التاريخ ماضيه وحاضرها، ويصبح العمل الشعري قادرًا على أن يبني وينحت ويصور فهو يجمع الفنون<sup>(١)</sup>.

ويستمر الشاعر في توظيف المدينة شعرياً ويحملها دلالات متعددة على الرغم من أنه لم ينتقل إليها إلا إنه رسم صورة لها يحملها ما يحول في خاطره عنها، يقول:

(الطویل)

ف يا أرض بغ داد أصي خي لogue  
تك ون له بىن الف رات  
وجا ق<sup>(۲)</sup>

تغَّى السِّيُوفُ الْبَيْضُ فِيهَا بَنْصٌ رَه وَتَرْوِي  
الثَّرَى مَنْ دَعَهُ الْمُتَرَّقُ

إذا رام ت الآلة دار غ درا  
خائن رم راك ب له بغ بي  
وغررة أحمق (٣)

والملاحظ في هذه المقطوعة الشعرية أن الإحداث التي كانت عليها بغداد والمواقف السياسية فيها هي التي شدت الشاعر إليها، وكانت بغداد آنذاك في وضع سياسي مضطرب، فكان للشاعر موقف جراء ذلك عندما ناداها بأن تصغي لوقعة

<sup>(١)</sup> ينظر: مقدمة في نظرية الأدب: ٩٧.

<sup>(٢)</sup> جلق ، مدينة دمشق ، معجم البلدان: ٢ / ١٥٤ .

<sup>(٣)</sup> ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ٢٩١

تكون مابين الفرات والشام بقدوم أخيه العزيز بنصرها وتخلصها من غدر  
الخائنين، فهو بذلك أراد تحويلها من مكان غير أليف إلى مكان أليف.

وللشاعر موقف معادي يوم الرحيل عن عين شمس؛ نتيجة ما تركته في قلبه من الم  
الفارق والأسى، ويصور ذلك الشعور بقوله:

(الخفيف)

أي ق راق لب ك وفى الف راق  
وه زه أي ا ب  
أط ساره  
واس زه تف  
أي دم ع ج رى وقا ب  
ت ا واد وف ظى  
تا داول الب ين و خ زه  
كم شم وس بعين شم س أذيا ت  
ل وداع رأى ب ه الح م  
ع ج زه  
م وقف ج سار فيه حك م  
التصاب ي وأصل ساب الأسى  
العزاء ف زه  
ل و رآن ي كث يير ف يه  
ماش

بـأـنـي فـي كـثـيرـه  
عـزـه  
مـا غـرـتـي كـاتـبـ الـبـثـ  
حـتـى جـلـوا مـوـعـدـ  
الـتـلـاقـي بـغـزـه  
فـرـقـة لـا تـزالـ فـي العـيـنـ  
دـمـعـا دـذـكـرـي لـهـا وـفـيـ  
الـقـلـبـ حـزـزـهـ<sup>(١)</sup>

عين شمس تلك المدينة التي نفي إليها شاعرنا وعاني جراءها الفراق والألم ، وعادة ما يكون مكان المنفى غير أليف عند الإنسان ، وفي هذا النص الشعري شاعرنا تجمعه علاقة روحية مع المكان ، حين تصبح عين شمس مستودعاً لهموم الشاعر ومناجاته فيبدأ نصه بالسؤال عن ( أي قلب كوى الفراق...) ولم يرد من المتنلي الإجابة ؛ لأنه أجاب سؤاله بطريقة شفهية بتغييب الضمير " أنا " ، فهو صاحب القلب الذي عانى من الم الفراق والحزن حتى يوم الرحيل عن عين شمس إلى فلسطين فهو يصور يوم الوداع عن ذلك المكان الذي طالما احتضنه ولم يحلم حتى بالرحيل عنها ، فهي صورة تعبر عن مدى الارتباط النفسي بذلك المكان ، وعادة الإنسان من شدة تعلقه بالمكان يصبح كارها له وكأنه يحمله سبب الابتعاد عنه ، وهذا ما لاحظناه عند شاعرنا .

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ٢٤٣.

وأخيرا فإن المكان غير الأليف (المعادي) جاء بصور متنوعة دلت على حالة الرفض والضيق والشكوى من شاعرنا تجاه ذلك المكان الذي وجه إليه أصابع الاتهام من رفض وكره وعداء وغربه .

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وسع برحمته كل شيء والصلوة والسلام على النبي الصادق الأمين وعلى آله وصحبه الأطهار أجمعين .

يمكن اجمال ابرز النتائج التي تبين مدى التأثر والتأثير بين الشاعر والمكان بالنتائج التالية :

- ١-اكتسب المكان في شعر تميم أهميته ، إذ أغلب تجاربه كانت ناتجة من المكان وكل مكان دلالته التي يتركها في نفس الشاعر ، ولا سيما انه تنقل بين أكثر من مكان .
- ٢-كان للمكان الطبيعي حضورٌ واسعٌ ؛ إذ بدت الظواهر الطبيعية في أنظار شاعرنا أليفة يلتمس جمالها ويتجول في رحابها، وتركت في نفسه باعث البهجة والغوص بخيالاته ، وقد وجد ضالته فيها، فكانت بالنسبة له الطمأنينة ومرفأ الأمان.
- ٣- مثلت الأرض بمظاهرها الجميلة وفضائلها اللامحدود من جبال وصحراء ، ورياض ومياه مصدر الهم الشاعر ، إذ نجد الأرض حاملة لمعاني واسعة معبرة عن عواطف ومشاعر الشاعر تجاه المكان ، فيما حملت الجبال معاني الرفعة والعلو والشموخ في شعر تميم ، وكذلك كانت وسيلة للتعبير عن همومه ومعاناته؛ إذ أشركها في التعبير عن شکوى الزمان وظلمه ، كما جعلها ملجاً أميناً ينادي عبره ذاته . وينفذ الشاعر عبر الصحراء الواسعة للتعبير عن همومه التي لم يسعها مكانه ، وأراد من وصفها أن يسير على خطى الشعراء القدماء في وصف الصحراء ، وحملت في شعره معاني الغربة والخوف والشعور بالضياع ومخادعة zaman له . أما الرياض وهي من أكثر الأماكن التي وصفها فقد عبرت عن الحياة المصرية من ترف ونعم . وعالم المياه هو الآخر سجل حضوراً فهو عند شاعرنا يحمل معنى الكرم والجود ، ومكاناً للهوى والمرح ، ومكاناً للاختلاء مع النفس ليكون المستمع لمناجاة الشاعر وهمومه .

٤- بُرِزَ المكان الأصطناعي بشكل واسع في شعر تميم وجاء نتيجة اهتمام الفاطميين بالحياة العمرانية الحضارية ، وقسمت على أماكن خاصة، وأخرى عامة ومثلثة الخاصة تلك الاماكن التي تخضع لعلاقة إنسانية خاصة ، ومنها أماكن السكن التي هي منطلق الإنسان نحو التعايش مع المكان الخارجي العام وقد دلت على الحب والحنان وعلى الحياة العمرانية حيث الجمال والبهاء ، ومثلثة الأماكن العامة افتتاح الذات الشاعرة نحو الأماكن الواسعة وتعايشهما معها ، فكل الأماكن التي تطرق إليها الشاعر جاءت تعبيراً عن هناءه تلك الأماكن وأثرها في نفسه الرافضة للواقع الذي يعيشها فكانت ملجاً له لتقليل من همومه .

٥- ارتبط الشاعر بالمكان بعلاقة يمكن عدتها روحية ناتجة من أثر المكان في نفس الشاعر مما جعله ينطق شرعاً ، فأغلب تجاربه الحياتية نابعة من المكان فبسبيه عانى الغربة ، وقد كشف عن تلك الغربة أسلوبه الذي أدى به تمني العودة للوطن وحب اللقاء بالأهل والأحبة ، وعانى الاغتراب وكان سببه حرمانه من حقه من الخلافة فأخذ يعاني من حالة نفسية كان المكان أكبر داعمة له .

٦- وتعد ألفة الشاعر للمكان صورة نفسية تعكس مدى القبول والشعور بالراحة في ذلك المكان والولاء له . وقد أحس بعذائية بعض الأمكنة عبر ما تلقى فيها من تجارب مؤلمة أو ما سمع فيها من أحداث ، فترك معاني الرفض والضيق والشكوى في نفسه .

## قائمة

# المصادر والمراجع

اولاً : المصادر والمراجع

- أتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري ، د. محمد مصطفى هدارة ، ط١، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ .
- الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، محمود مصطفى ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- الأدب العربي في مصر من الفتح إلى الفاطميين ، د. عبد الرزاق إبراهيم حميده، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧ .
- أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٣ .
- الإشارات الإلهية ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : وداد القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- أصول الفكر الفلسفية عند أبي بكر الرازي ، عبد اللطيف محمد العبد ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ، سميرة سلامي ، ط١ ، دار الينابيع ، دمشق ، ٢٠٠٠ .
- بلاغة المكان - قراءة في مكانية النص الشعري ، فتحية كحلوش ، ط١ ، الانشراري العربي ، بيروت - عمان ، ٢٠٠٨ .
- بناء الرواية - دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، د. سوزان قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

## قائمة المصادر والمراجع

- البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، د. شجاع مسلم العاني ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د.ت.
  - تاج العروس من جواهر القاموس ، محي الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي ، مطبعة بولاق ، مصر ، د.ت .
  - تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، مصر ، ١٩٥٦ .
  - تاريخ الفكر الفلسفى - الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون ، د. محمد علي أبو ريان ، ط ٥ ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٤ .
  - تميم الفاطمي - ابن الأمام المعز لدين الله الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال ، د. عارف تامر ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٨٢
- ٠ م
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : علي حسن هلالى ، مراجعة محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ، د.ت .
  - جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، ط ١ ، دار الجاحظ للنشر والتوزيع ، بغداد ، ١٩٨٠ .
  - جماليات المكان في قصص ادريس الخوري ، أحمد زنبر ، ط ١ ، التوكسي للطباعة وتوزيع ، دار التوحيدى ،الرباط ، ٢٠٠٩ .
  - جمهرة اللغة ، ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ) ، ط (أوفسيت) ، دار صادر بيروت عن مجلس دائرة المعرف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٤٥ هـ .
  - الحالة الاقتصادية في مصر في عهد الفاطميين ، د . راشد البراوي ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

## قائمة المصادر والمراجع

- الحلة السيراء ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاوي المعروف بابن الآبار ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- الحنين والغرية في الشعر العربي ، د. يحيى الجبوري ، ط١ ، دار مجلاوي ، عمان ، ٢٠٠٨ .
- دراسات مقارنة بين النشاط الأدبي في الدولتين الفاطمية والعباسية ، د. خضر أحمد عطا الله ، دار ابن زيدون ، للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت.
- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر - دراسة في أشكالية التلقي الجمالي للمكان ، قادة عقاد ، من منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠١ .
- دلالة المكان في قصص الأطفال ، ياسين النصير ، ط١ ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- الديوان ، عباس محمود العقاد ، إبراهيم عبد القادر المازني، ط٤ ، دار الشعب ، القاهرة ، د.ت .
- رسائل الحروف ، أبو نصر الفارابي ، تحقيق : د. محسن مهدي ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، د. باديس فوغالي ، ط١ ، أربد عالم الكتب الحديث ، ٢٠٠٨ .
- زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو اسحق إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني ، ط١ قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه ، د. صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ٢٠٠١ .
- سيرة الأستاذ جوزر ، أبو علي منصور الجوزري ، تحقيق : محمد كامل حسين ، د. محمد عبد الهادي أبو شعيرة ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

## قائمة المصادر والمراجع ..

- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، د. احمد عبد الستار الجواري، ط٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٩١ .
- الصنوبرى - شاعر الطبيعة - شاعر حلب ، عبد الرحمن عطبة ، دار الأوزاعي، حلب - سوريا ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٥ .
- الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسى ، ط١ ، دار الإرشاد ، بيروت ، ١٩٧٠ م
- عبقرية الفاطميين ، محمد حسن الأعظمي ، دار الكتب المصرية ، مكتبة الحياة، د.ت .
- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- فلسفة المكان في الشعر العربي ، حبيب مؤنسى ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ .
- فن الوصف في الشعر العربي ، ايليا الحاوي ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٠ .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ط١١ ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.
- في أدب مصر الفاطمية ، د. محمد كامل حسين ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٥٠ .
- في النقد الأدبي الحديث ، محمد عبد الرحمن شعيب ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- لسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، تحقيق : نخبة من الأستاذة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨١ .

## ..... قائمة المصادر والمراجع .....

- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي - تلازم التراث والمعاصرة، محمد رضا مبارك، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٣ .
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د. عبد الله الطيب المجنوب ، ط١ ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
- المقابسات ، أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠ هـ) ، تحقيق : محمد توفيق حسين ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٠ .
- مقدمة في نظرية الأدب ، عبد المنعم تليمة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- المكان والجسد والقصيدة - المواجهة وتجليات الذات ، فاطمة الوهبي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء - المغرب ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٥ .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية ، تقي الدين أحمد بن علي المقرizi ، تحقيق : د. محمد زينهم ، مدحنة الشرقية ، مكتبة مدبولي ، ١٩٨٩ .
- موسوعة الفلسفة ، د. عبد الرحمن بدوي ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين بن تغري بردي الatabki (ت ٨٧٤ هـ) ، ط١ ، قدم له وعلق عليه ، محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ .
- نظرية الأدب ، أوستين وارين - رينيه ويلياك ، ترجمة : محى الدين صبحي ، مراجعة : د. حسام الخطيب ، مطبعة خالد الطرابishi ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، دمشق ، ١٩٧٢ .
- نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية ابن سينا نموذجاً ، حسن مجید العبيدي ، دار نينوى ، دمشق ، ٢٠٠٧ .

## قائمة المصادر والمراجع

- الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم علي فناوي ، طبعة مصر ، ١٩٤٩ .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ( ت ٦٨١ هـ ) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

## ثانياً: الرسائل والأطروحات الجامعية

- الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره ، روضة بنت بلال بن عمر المولد ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ٢٠٠٧ .
- دلالات المكان الشعري - دراسة في شعر حسب شيخ جعفر ، ناجي عباس مطر الركابي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ .
- شعر تميم بن المعز الفاطمي - دراسة فنية تحليلية ، حسن علي عباس القرشي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١١ .
- الصحراء في الشعر الجاهلي ، محمد صديق حسن عبد الوهاب ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ٢٠٠٧ .
- المكان في شعر الأرجاني ، رسالة ماجستير ، دعاء علي عبد الحسين الساعدي ، كلية التربية ، جامعة المستنصرية ، ٢٠١٣ .
- المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي ( ٤٨٤-٨٧٩ هـ ) ، محمد عويد ساير الطريولي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤ .
- المكان في شعر بدر شاكر السياب ، فاتن محمد فارع الخزاعلة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة آل البيت ، ٢٠١٠ .
- المكان في الشعر العربي قبل الإسلام ، حيدر لازم مطاك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

## قائمة المصادر والمراجع

- المكان عند شعراء الغزل العذري في العصر الأموي ، بشائر أمير عبد السادة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٣ .
- المكان ودلالاته في شعر السباب ، محمد طالب غالب البجاري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ١٩٩٨ م .

### **ثالثاً: البحوث والدوريات**

- الأسس النفسية للتجريب الشعري ، د. ريكان ابراهيم ، مجلة الأقلام ، العددان ١١ - ١٢ ، ١٩٨٩ .
- الاغتراب في حياة المعربي وأدبه ، د. حسين جمعة ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد ٢٧ ، العدد ١، ٢ ، ٢٠١١ .
- البطل المغترب في الرواية العراقية ، د. صبري مسلم ، مجلة الأقلام ، العدد ٩ ، ١٩٨٨ م .
- جماليات المكان ، اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، العدد ٢ ، ١٩٨٦ .
- الغرابة المكانية في الشعر العربي ، عبده بدوي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مجلد ١٥ ، العدد ١ ، ١٩٨٤ .